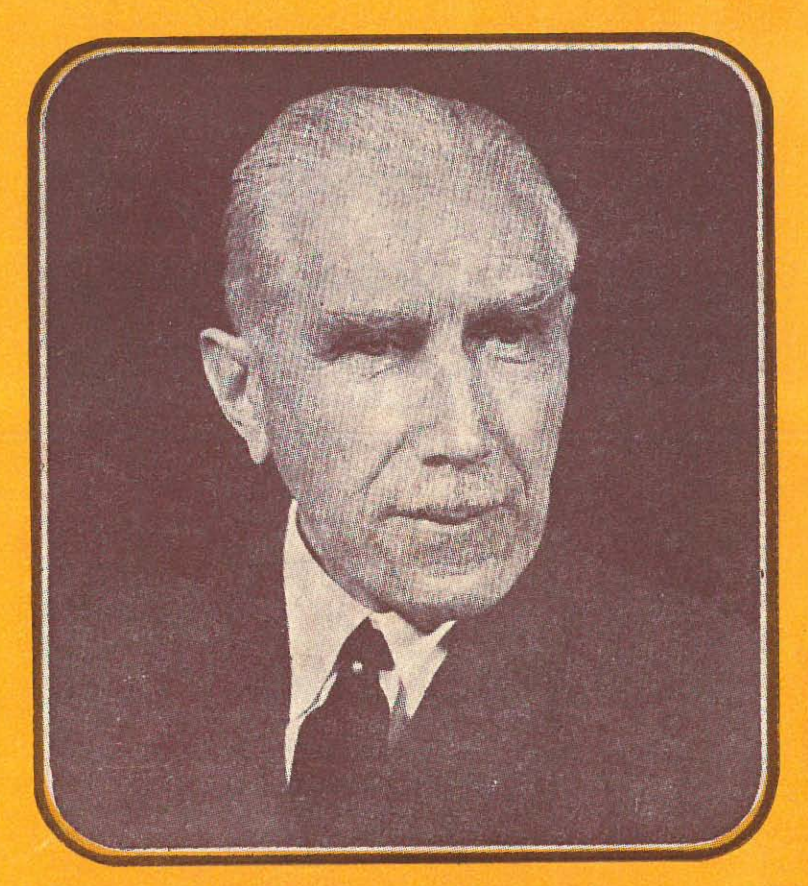
سفير ألمانيا في تركيا

فون بابن يتكلم



منشورات دار بيروت



سفير المانيا في تركيا

بقلم
فرانس فون بابن

ترجمة
نجاتي صدقي

دار بيروت
للطباعة والنشر
بيروت ١٩٥٢

مقدمة

اصدر فرانس فون بابن ، الدبلوماسي الالماني المعروف، مذكراته منذ شهرين فقط ، وقد نقلت هذه المذكرات الى لغات عديدة لاهميتها. ولما تصفحناها وجدناها تتضمن معلومات تهم القارىء العربي ، وقد حصرت هذه المعلومات في القسم الخاص بنشاط فون بابن الدبلوماسي في تركيا ابان الحرب العالمية الاخيرة ، ولهذا السبب آثرنا نقل القسم المذكور الى العربية حتى ياخذ القارىء العربي فكرة واضحة عن الدور الذي مثله فون بابن في سياسة النازيين الشرقية .

والكتاب في الاصل مؤلف من خمسة اقسام وهي :

القسم الاول وعنوانه (من الملكية الى الجمهورية) ويستعرض فيه تاريخ المانيا خلال فترة من الزمن ، والقسم الثاني وعنوانه (انهيار ويمار) ويعالج فيه حالة المانيا بعد انهزامها في الحرب العالمية الاولى وقيام جمهورية ويمار سنة ١٩١٨ وظهور الحركة الهتلرية ، والقسم الثالث وعنوانه (هتلر في الحكم) ويبين فيه الظروف التي ادت الى تحويل المانيا من جمهورية الى دكتاتورية نازية ، والقسم الرابع

وعنوانه (في مهمة الى النمسا) ويعرض فيه المهام الدبلوماسية التي القيت على عاتقه لتحقيق فكرة الاتحاد الالماني النمساوي المعروفة بالانشلوس، واخيرا القسم الخامس وعنوانه (من انقرة الى نورمبرغ) وهو الذي ترجمناه في كتابنا هذا .

وفون بابن بحد ذاته شخصية غامضة فهو رجل منحدر من الارستوقراطية الالمانية، خدم الدبلوماسية الامبراطورية، وكان كولونيلاً في الحرب العالمية الاولى، ثم تعاون مع النازيين، ولما قدم امام محكمة نورمبرغ برأت ساحته من تهمة جرائم الحرب، وانصرف الى كتابة مذكراته، وهو يقيم اليوم في انكلترا .

وفي هذا الكتاب بيان جلي عن السياسة الالمانية في الشرق الادنى .. وفي مطالعته عبرة وفائدة .

بيروت نوفمبر ١٩٥٢ — نجاتي صدقي

القسم الاول

العودة الى المانيا - ريبنتروب رجل صعب - التماس لملك السويد - ايطاليا تغزو البانيا - عرض منصب انقره - شروطي - هتلر يلغي الاتفاقية البحرية - الوصول الى استنبول - المخاوف التركية - توسلت لريبنتروب وشيانو - قابلت هتلر مرة ثانية - ريبنتروب يطير الى موسكو - الحرب مع بولونيا - انكسار المانيا محتوم - ثلاثة احتمالات.

اعلان الحرب

عدت من النمسا الى بيتي في واللرفانجن في المانيـا ، وكانت املاكنا تقع في القسم الاوسط من خـــط سيغفريد ، فشعرت بسعادة لا مزيد عليها لتمكني من رؤية عائلتي والعنـاية بشؤوني الخاصة بعد قضاء ست سنوات في اعمال دبلوماسية متواصلة، غير ان ما شاهدته من استعدادات للحرب قد هز نفسي وسمم سعادتي.. وبالاضافة الى ذلك كنت متيقناً بانني ساقدم الى المحـاكمة بتهمة الخيانة لانني ارسلت الى النمسا الملفات التي تتضمن تقاريري الخاصة المرفوعة الى هتلر .

كان كتلر وكاغنيك قد سلما الملفات الى احد اقارب الاول وهو صاحب مصرف في زوريخ ، ولا علاقة لموت كتلر المفاجىء بهذه القضية ، فقد اختفت معالمه قبل ان تتـاح الفرصة لرجال الغستابو من الشروع بالتحقيق بصدد الملفات ، الا ان ملاحقتهم المتواصلة قد مكنتهم من الاهتـداء الى الاثر الذي يكشف لهم الستار عن مكان الوثائق المخفية .. وفي رأيي انهم لو تمكنـوا من وضع ايديهم عليها لقدموا لهيدريش المبررات الكافية « لاختفاء » كتلر ، ولوجدوا فيها المعاذير لتصفية الحساب معي .

ذكر والترهاغن في كتـابه (الجبهة الداخليـة) الذي نشر بعد الحرب ان هيدريش كان يعض اصابعه ندماً لتمكيني من الفرار ابان حركة العصيان التي قام بها روهم ، وقد عهد هيدريش فيما بعد الى احد رجاله ان يقضي علي باية وسيلة كانت .

انني لم ارسل الى سويسرا وثائق تدينـــني امام الغستابو ، لكنني لا اعرف بالضبط اذا كان كتلر لم يخف فيها مشاريعه الخاصة بوضع حد لطغيان هتلر ، او لم يضع في طياتها ما تناولته مشاريعنا بهذا الشأن ، ولذا عقدت النية على ان ارسل كاغنيك الى زوريخ مزوداً بجواز سفر صادر عن مكتب المراسلات الدبلوماسية التابع لوزارة الخارجية ، وطلبت منه ان يعيد الملفات الى المانيا ، ولما تعذر على كاغنيك وضع كل الملفـــات – وكانت محصول اربـع سنوات – في حقيبـة المراسلات الدبلوماسية، دون ان يستلفت انظار رجال الغستابو على الحدود، عمد الى اشعال النار في معظمها وعاد بما تبقى اليّ .

وكان الغستابو في تلك الاثناء قداشتم بعض الرائحة بصدد نشاطنا هذا ، فتلقيت تحذيراً من رئيس قسم المراسلات الدبلوماسية في وزارة الخارجية يقول فيه ان الاوامر على وشك الصدور لاعتقال كاغنيك فسهلنـــا له مهمة هربه الى السويد على وجه السرعة ، ورأيت ان من الانسب اعادة ما تبقى لدي من ملفات الى هتلر نفسه ليطالعها وليرى فيما اذا كانت تتضمن مواد تدينني وتقدمني الى المحاكمة .

وقد اكدت له شخصياً بانني ارسلت هذه الوثائق الى سويسرا بعد اعفائي من منصبي كسفير لالمانيا في النمسا ، حتى اتمكن من اثبات صحة السياسة التي اتبعتها في تلك الديار. واستمر هذا التوتر قائماً اسابيع عديدة الى ان وقعت حوادث هامة حملت هتلر وغورينغ ان يطلبا من هملر وهيدريش اسقاط القضية .

لقد علمت من الصحف لاول مرة بازمة السوديت ، وكانت اولى تدخلاتي بهذا الشأن ان ارسلت برقية وانا في غودسبرغ الى هتلر ، ووجهت رسالة الى المستر شامبرلين بعد الانتهاء من محادثات مونيخ . اما برقيتي الى هتلر فقد ذكرته فيها بالوعد الذي قطعه على نفسه بان يجلب السلام للشعب الالماني ، ورجوته الا يضيع الفرصة للوصول الى اتفاق مع بريطانيا العظمى .

والمعروف ان انتقادات شديدة قد وجهت الى شامبرلين ، ومعظمها جائر ، لانه قام بزيارة لالمانيا ، ولتوقيعه اتفاقية مونيخ.. والواقع ان المستر شامبرلين قد اراد من هذه الخطوة الوصول الى هدفين: اولاً – اعطاء بريطانيا الوقت الكافي لتسلح نفسها ، وثانياً – تحقيق سلم شريف باي ثمن كان .

وكان فرح الشعب الالماني عظيماً عندما علم باتفاقية مونيخ لانها ادت الى تفادي وقوع الحرب ، اما الرسالة التي وجهتها الى شامبرلين فقد امتدحت فيها شجاعته الادبية لمجيئه الى المانيا وتوقيعه الاتفاقية المذكورة ، فاجابني على رسالتي برسالة اخرى فقدتها ابان الحرب لكنني اذكر منها عبارة تقول : « كنت جد مسرور

للوصول الى قلب المانيا » .. وسرعان ما خُيبت امالنا حين القى هتلر خطاباً في سار بروكن اعرب فيه عن سخطه على بريطانيا لشروعها بالتسلح .. فبينما كان ربنتروب يوقع اتفاقية سلمية اولية في باريس ، وكنت ادعو اليها منذ زمن طويل ، كان هتلر يعمل على تحطيم الآمال المعقودة على حل المشاكل الاوروبية .

وفي الخامس من نوفمبر ١٩٣٧ وضع بروتوكول هوسباخ بين هتلر وغورينغ وبعض القادة العسكريين ، وقد قرروا فيه ان الحرب لا بد منها ، وعينوا الوقت اللازم للهجوم على النمسا وتشكوسلوفاكيا .. وقد اعرب هتلر في هذا الاجتماع عن سخطه على تدخلات شامبرلين التي تتعارض مع مشاريعه التوسعية ، غير ان الاستقبال الحماسي الذي لقيه رئيس الوزارة البريطانية في لندن ، وسلوك موسوليني ودلادييه في مؤتمر مونيخ ، قد ارغما هتلر على الميل الى سياسة التفاهم موقتاً .

وحدثت لي في ذلك التاريخ مناوشات مع ربنتروب ، فقد تلقيت وقتئذ دعوة لالقاء محاضرة في الجمعية السويدية الالمانية في ستوكهولم فقبلت الدعوة بطيبة خاطر ، اذ كان لي في السويد الكثير من الاصدقاء ، وكان ملك السويد نفسه يبدي اهتماماً خاصاً بنشاطي السياسي ، ولما اعتزمت السفر استدعاني ربنتروب وطلب مني ان اطلعه على نص المحاضرة فقلت له انك تطلب المستحيل لانني لا اقرأ من نص مكتوب ، ولو افترضنا انني كتبت المحاضرة فلا استسيغ عرضها عليك .. فاجابني غاضباً : لقد حدث

والقيت خطاباً في ماربورغ مضاداً لسياسة الدولة !..

فقلت له انني القيت ذلك الخطاب بوصفي نائباً لمستشار الريخ وانت لا تستطيع الحكم على ذلك الخطاب او نقده، فاذا كنت لا ترغب بان احاضر في ستوكهولم فانني مرسل برقية الى ملك السويد اعتذر فيها عن القاء المحاضرة.. وبهذه العبارة انهيت حديثي مع شخص تسيطر عليه الاوهام، ويخضع لمركب نقص واضح.. وحين هممت بالخروج استوقفني واعتذر لي عما بدر منه وقال انه ليسره جداً ان اعمل لتوثيق عرى الصداقة الدولية، وتوضيح السياسة الالمانية الخارجية التي يعتورها بعض الاضطراب.

وكانت محاضرتي دعوة الى الامم الاوروبية لتتحد من اجل الدفاع عن السلم، وسألت ملك السويد بوصفه عميد ملوك اوروبا ان يُفهم هتلر بان السياسة الالمانية لا تؤدي الا الى الحرب، وان الطريق معبدة الآن للحلول السلمية، وذلك بعد عقد اتفاقية مونيخ وزيارة ربنتروب الى باريس.. فرحب الملك بهذه الدعوة ووعد بالعمل على تحقيقها، لكنني علمت فيما بعد ان حكومة اشتراكية استلمت الحكم في السويد.

وحين عدت الى برلين وجدت ربنتروب يقطر لطفاً ويعرض عليّ منصب سفير الريخ في تركيا وكان هذا المنصب شاغراً منذ ثلاثة اشهر فاعتذرت اليه.. ثم عاد وجدد العرض في شهر فبراير ١٩٣٩ فرفضته للمرة الثانية.

وتطورت الحوادث السياسية وتفاقمت، وكانت مقابلة بين

هتلر والرئيس التشكوسلوفاكي ، ثم زحفت القوات الالمانية على براغ ، فحنث هتلر بالوعد الذي قطعه على نفسه في مونيخ ، وتحطمت سمعته كرجل دولة .

ولما كنت اتعالج في مصح ويس هيرش في دريسدن حدثني ربنتروب بالتلفون وطلب مني الا ارفض المنصب المعروض عليّ في تركيا ، فاستفسرت منه عن السبب الذي حمله على اثارة هذه المسألة للمرة الثالثة ، اجاب ان ايطاليا غزت البانيا فجأة دون استشارة الفريق الثاني من المحور ، واضاف قائلاً ان الغزو الايطالي يزيد الحالة في اوروبا تعقيداً .

كان هذا الحديث غريباً من شخص اثبتت اعماله على انها لا تحمل حسن النية للتضامن الاوروبي.. وكان من الطبيعي الا استطيع اخذ صورة جلية عن اقتراحه بالتلفون فانهيت اقامتي في درسدن وتوجهت الى برلين .

حدث ذلك يوم الجمعة الحزينة ، في السابع من شهر ابريل ١٩٣٩ ، ولن انسى ذلك التاريخ ابداً .. وكان علي ان افكر جيداً في ان اقبل ضد ارادتي منصباً يجعلني في نضال نفسي لمدة خمس سنوات أُخر .. وسرعان ما اوجزت القضية وحددت معالمها ، كنت اعرف وفاقاً لمعلوماتي السابقة ان كمال اتاتورك قد نبه خلفاءه لان يكونوا على حذر من احتمال هجوم مفاجىء على الدودنيل تشنه بالدرجة الاولى ايطاليا الفاشستية .. فمهاجمة البانيا ، وتصريح الكونت شيانو بان ايطاليا تعتزم الاحتفاظ

بثلاثين فرقة ، امران يؤكدان المخاوف التركية ، فاتاتورك وخليفته عصمت اينونو عقدا اتفاقيات مع دول البلقان وكانت الغاية منها كما يبدو ايجاد خط دفاعي اولي يقي تركيا خطر الهجوم الايطالي .. غير ان رومانيا قد وقعت اتفاقية تجارية مع المانيا وهي تعني التقرب الى دول المحور ، ثم ان بلغاريا بدورها رفضت الانضمام الى الحلف البلقاني ، وراحت تظهر ميلها الى المانيا وعداءها لتركيا .. وهكذا غدا حلم موسوليني بصدد جعل البحر المتوسط (نوسترا ماره) اي بحرنا ، خطراً اكيداً .

لقد غدت الحالة في اوروبا اكثر تعقيداً مما كانت عليه قبل التوقيع على اتفاقية مونيخ .. فالبعثات البريطانية والفرنسية كانت تتفاوض في موسكو لعقد ميثاق للمساعدة المتبادلة بالاتفاق مع بولونيا ورومانيا ، والحكومة البريطانية تبدي اهتماماً خاصاً بتنسيق الخطط الدفاعية في بولونيا ، ورومانيا ، واليونان ، وتركيا .. وقد اكد لي السير نفيل هندرسون ، سفير بريطانيا في برلين ان بالمستطاع انقاذ الموقف اذا قيل لهتلر صراحة ان اي اعتداء جديد يقوم به ، سيؤدي حتماً الى اشعال نار الحرب الكونية ، وان من الممكن الغاء معاهدة فرساي ، وحل قضية ممر دانزيغ دون اللجوء الى كارثة عامة .

وهكذا وجدت نفسي في موقف محير شبيه بالموقف الذي تعرضت اليه سنة ١٩٣٤ ، فقد طُلب مني بعد مقتل المستشار النمساوي الدكتور دولفوس ، ان اقوم بمهمة شاقة في النمسا

فقبلت الطلب ، واثرت بذلك استغراب العدد الكبير من اصدقائي الذين يعرفون وجهات نظري في النظـام النازي ، وكان اقربهم الي ويلهلم فون كتلر الذي اغتاله النازيون فيما بعد ..

اجل ، وجدت نفسي في موقف محـير فاعملت الفكر كثيراً واستشرت كثيراً الى ان وصلت الى نتيجة صحيحة وهي : ان انقاذ المانيا بل والعالم كله من خطر الحرب افضل بكثير من أن ارتدي ردائي العسكري القديم واقاتل قتـــال اليائس في احد خنادق خط سيغفريد .. لقد قررت ان ابذل كل ما في وسعي لتحاشي الكارثه ، وقبلت الدعوة الموجهة الي من هذا النظـــام الشيطاني لتمثيل المانيا في الديار التركية .

فاول ما اشترطته على هتلر لقبول العرض هو ان يضعني تحت امرته مباشرة ، وان يعطيني الضمانات الكافية من تدخلات رجال الغستابو في اعمالي ، فقبل هتلر هذا الشرط وجعل جميع اتصالاتي به عن طريق وزارة الخارجيـة .. واذكر بهذه المناسبة انه حمل على موسوليني لتأزيمه الحالة بالاعتداء على البانيا وقد تناسى ان زحفه على تشكوسلوفاكيا كان اكثر من جريمة ، كان حماقة .

وفي الثامن والعشرين من ابريل ١٩٣٧ القى هتلر خطاباً في الريخستاغ هاجم فيه بلهجة فيها الشيء الكثير من الفروسية ، طلب الرئيس روزفلت بان يكف هتلر عن القيام باعتداءات جديدة ، واعلن الغاء الاتفاقيـة البحرية المعقودة مع بريطانيا ، كما اعلن الغاء اتفاقية عدم الاعتداء المعقودة بين المانيا والمرشال

بلسودسكي .

وكم كانت الفائدة عظيمة لو تمكن المستر شامبرلين من اقناع الاتحاد السوفياتي التوقيع على اتفاقية مع بولونيا حتى ولو كانت على حساب بعض اراضيه المتاخمة للحدود البولونية ... فلو تمكن الرئيس الانكليزي من ذلك لاحجم هتلر عن مهاجمة بولونيا ، ولوجد نفسه بين نارين .

* * *

وفي نهاية ابريل ١٩٣٩ استقليت قطـار الشرق السريع في طريقي الى انقره وفي نفسي قتام .. لقد قلت لربنتروب صراحة بان مهمتي في انقره هي المحافظـــة على السلم وتهدئة الخواطر السياسية في اوروبا ، فوافقني على ذلك .. ثم حددت مهمتي في تركيا وهي ان اؤكد للاتراك باننا سنبذل ما في طاقتنا لتحاشي خطر الحرب الاوروبية ، واننا سنطلب من اصدقائنا الايطاليين اعطاء التأكيدات المقنعة بالا يهددوا مصالح البلقان وتركيا ، واننا سنحافظ على الحالة الراهنـــة في تركيا على الا تدخل في حلف موجه ضدنا .

فاقر ربنتروب هذه السياسة وصدق عليها هتلر ايضاً .

وما ان وصلت استنبول حتى اضطربت للانباء القائلة بان ستالين اوفد مبعوثاً خاصاً الى انقرة لاجراء محادثات هامة مـع الحكومة التركية ، فتابعت سفري الى انقره في مســاء اليوم الذي وصلت فيه استنبول وقدمت اوراق اعتمادي للرئيس عصمت

اينونو في صباح اليوم التالي، ودار بيننا حديث مطول قال فيه الرئيس ان غزو ايطاليا لالبانيا يشكل خطراً جدياً وتساءل عن موقف المانيا من هذا الغزو وهي حليفة لايطاليا .

فاكدت له ان المانيا مستعدة لتقديم كل الضمانات التي تدعم نواياها السلمية .

فقال الرئيس التركي ان في ابقاء ايطاليا العدد الكبير من فرقها في البلاد الالبانية ، واقامتها التحصينات الهائلة في جزر الدوديكانيز ، لدليل واضح على سياستها الاستفزازية ، وتساءل مرة اخرى فيما اذا كانت المانيا تنوي دعم السياسة الايطالية هذه ؟..

فنفيت بشدة ان يكون لالمانيا اية علاقة بالمسلك الايطالي وقلت له ان هتلر وربنتروب يقدمان كل الضمانات الكافية لتهدئة الخواطر التركية .

فقال الرئيس انه مزمع على توقيع اتفاقية مع بريطانيا وفرنسا .. فرجوته ان يعطيني الفرصة الكافية لمراجعة برلين حتى يتمكن هتلر من اقناع موسوليني بضرورة تلطيف الجو ، فوعدني بان ينتظر نتائج مساعي .

واخذت احبر برقية مسهبة لهتلر وربنتروب ضمنتها تقريري بصدد المخاوف التركية ، واقترحت عليهما فيها ان يضغطا على ايطاليا لتخفض من حاميتها في البانيا الى الحد الادنى الذي

يمكنها من المحافظة على الامن والنظام فقط .. وسألتهما ان يقنعا موسوليني بان يتنازل لتركيا عن جزيرتين صغيرتين لا اهمية لهما من جزر الدوديكانيز تقعان بالقرب من المياه التركية .

ثم وضعت مذكرة لوزارة الخارجيـــة الالمانية ، ووزعت منها نسخاً على قواد الجيوش الالمانية بقصد افهـامهم ان اشتراك تركيا مع الحلفاء في تطويق المانيـا هو نتيجة طبيعية لمخاوفهـا ، وانعـكاس لوضعهـا العسكري المشرف على شرق البحر الابيض المتوسط ، وقلت في تلك المذكرة : « ان اختـلال التوازن في الجنوب الشرقي من اوروبا هو جزء من توتر الحالة العالمية ، غير ان الموقف الذي اتخذته تركيا من اشتراكها في تطويق المانيـا السياسي هو امر خطير بالنسبة للسياسة الالمانية؛ واذا كانت المسألة الالبانية ، او قضية الممر البولوني ستفضيان الى خـلاف مسلح ، فان هذا الخلاف في الاوضاع الحالية سيفضى حتما الى نشوب حرب عالمية .

لقد اثبتت لنا حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ ان بريطانيا لا تغلب على أمرها ان لم تقطع شرايينها بادىء ذي بدء .. واعني بهذه الشرايـين طرق مواصلاتها الى الشرق الاقصى ، وطرق تموينهـا بالبترول عصب الحرب الحديثة ، او بعبارة اخرى قناة السويس والخليج الفارسي .

كانت تركيا حليفة لنا في الحرب الماضية ، لكننا اخفقنا معها من تحقيق هذا الهدف ، ووجودها اليوم في الجهة المعارضة



فون بابن وريبنتروب يتحدثان في المفوضية التركية

لا يمنحنا اية فرصة لتحقيقه بالمرة .. ان تركيا هي مفتاح الوضع العسكري في الشرق الادنى ، فاي جانب يرفض استخدام اراضيها بمثابة قواعد للعمليات الحربية فانه يتخلى بالفعل عن السيادة على الشرق الاوسط .. فالمطلوب من المانيا اليوم ان تركز اهتمامها للمحافظة على السلم ، واي حرب تدفعنا اليها السياسة الايطالية الاستعمارية ، او سياستنا الاستعمارية بالذات ، ستنتهي الى الفشل منذ اليوم الذي تبدأ فيه ! .

وكانت نتيجة مسعاي هذا ان استقبل الكونت شيانو الهر فون ماكنزن سفير المانيا في روما ، والسنيور اتوليشو سفير ايطاليا في برلين ، اللذان لفتا نظره الى المخاوف التركية وطلبا منه بعض الضمانات .. فاجاب بلسان موسوليني ان الاتراك يستحقون الهجوم لانهم يخشون الحرب ! . .

اما ربنتروب فقد اثارته مذكرتي وكتب لي قائلاً بانه لا يحق لي ان اوجهها الا له فقط ، في حين انني قصدت من توزيعها على قواد الجيوش افهامهم بان الحرب الاوروبية هي انتحار لالمانيا ، وقدمت لهم البراهين التي تثبت وجهة نظري هذه ، مستنداً الى اختباراتي في حرب ١٩١٤ حين كنت اقاتل في فلسطين والصحراء السورية .

ولما عدت الى برلين وجدت نفسي محاطاً بعالم الزينة لمناسبة التوقيع على التحالف الالماني الايطالي ، وقد اقيمت في الليلة التي تلت التوقيع حفلة ساهرة في قاعة المستشارية فقررت ان اغتنم

الفرصة واتحـدث الى شيانو صراحة في السياسة الاوروبية ، وفي المسألة التركية، وقلت له بعبارات شديدة ان تركيا تخشى الوضع في البانيا والدوديكانيز، وسألته ان يعمل على تبديد هذه المخاوف التركية ، فكان يصغي الي وينفعل شيئاً فشيئاً ، ولما انتهيت من حديثي اعتـذر لي بلطف ، ثم راح كالعاصفة الى حيث يقف ربنتروب وصار يخاطبه مستعملاً الكثير من الحركات العصبية .

وفي وقت متأخر من تلـك الليـلة جاءني ربنتروب ووجهه يتقد من الغضب وقـال لي : من طلب منك تقديم النصـــائح للكونت شيانو في سياسة ايطاليا الخارجية ؟..ومن هو المسؤول عن السياسة الالمانية انا ام انت ؟.. ان شيانو لحانق !..

فقلت له: انني لا ابحث عن مسؤولياتك في السياسةالخارجية، لكنني لا اسمح لاحد ان يحرمني من حقي في التحدث الى وزير الخارجية الايطالية في الحالة العامة الخطيرة .. فمنذ ثلاثة اسابيع ارسلتني الى انقره لانقذ الموقف في الجنوب الشرقي.. وكان عليّ ان اعرض على شيانو الوضـع في تلك المنطقة كما عرضته عليك ، واذا كنت ترى في عملي هـذا خطأ فانني اقدم لك استقالتي على الفور شاكراً .

وفي اليوم التالي دعاني ربنتروب الى مأدبة اقامها على شرف شيانو ، واعتذر لي عما بدا منه من لهجة شديدة ، وسألني ان اتحدث الى شيانو من جديد .. فكان الوزير الايطالي يسايرني من جهة، ويهيب من جهة اخرى بقنصل ايطاليا في تركيا السنيور

دي ببيو ان يرصد عليّ العيون وان يترقب « دسائسي » !..

وحين عدت الى تركيا اخذت اكثر من تبادل الزيارات مع الوزراء الاتراك وزملائي الدبلوماسيين، واخص منهم بالذكر السيد سراج اوغلو وزير الخارجية التركية ، فهو رجل نبيل وصريح ، فكنا نتبادل الآراء ونعالج الامور بحرية تامة ، اما وكيل وزارة الخارجية الدائم السيد نومان مينمنجي اوغلو فهو رجل قدير قدم لبلاده خدمات جليلة ، وكان كلامه لا يتناقض مع فعله ، ولم يخف رأيه في المانيا الهتلرية بقوله دائماً انها مصدر متاعب لا حصر لها .. وفي رأيه ان تركيا بحاجة الى وضع مستقر في اوروبا ، وبانها تطمح بان ترى المانيا قوية الجانب تقف في وسط اوروبا مناوئة للخطط الروسية في الدردنيل ... وان تركيا تبحث عن سلامتها ، وعن التزاماتها المنصوصة في الميثاق البلقاني.. واما انا فكنت اتجنب مجادلته في هذه الامور واحصر همي باقناعه بانني رجل احب المحافظة على السلم ، ولهذا السبب فقط اخذت على عاتقي مهمتي الدبلوماسية في تركيا بالرغم من تجاربي الكريهة للنظام النازي .

وفي احد اجتماعاتي بالسيد مينمنجي اوغلو وصفت له شخصيتي هتلر وربنتروب وسألته ان يغتنم فرصة سفره الى باريس ويزورهما في المانيا فلعله يستطيع التأثير على ربنتروب ويجعله ينحو نحو الاعتدال .

ولما زار الوكيل التركي وزير الخارجية الالمانية انقلبت الآية

وراح هـذا الاخير يقنـع ضيفـه بان تتخلى تركيا عن سياسة التحالف مع الدول الغربية ، وان تنضم الى دول المحور ، مزيناً له عظمة القوى الالمانية الايطالية المتحدة، ورغبة المانيا في السلم، وعارضاً عليه صوراً براقة عن انحلال الامبراطورية البريطانية!..

وتلقيت ذات يوم برقية تنبؤني بوفـاة والدتي ، فسافرت الى المانيا لاحضر جنازتها ، ولما بلغت العاصمة الالمانية وجدت الحالة السياسية قد بلغت الذروة ، فطلبت مقابلة مستعجلة مع هتلر .. ولما كـنت في طريقي الى برختسغادن في العشرين من اغسطس ١٩٣٩ دهشت لمرأى الطرقات وهي تعجّ بطوابـــير الجنود.. فالتجنيد يجري على قدم وساق ، ولمـا استفسرت من هتلر عن الخلاف البولوني ابتسم واجابني بروح مرحة : اقول لك سراً ، ان حوادث هامة ستقع قريبـاً ، لقد نسفنا المفاوضات البريطانية الفرنسية مع روسيا ، وسيطير الهر فون ربنتروب الى موسكو غداً ليوقع اتفاقية عدم اعتداء مع الاتحاد السوفياتي .

لقد اذهلني هذا النبأ ، لكنني سررت له لانه يضمن السلم المرجو ، فاذا ما اصبحت روسيا حليفة لالمانيا تضطر بولونيا لان تصل مع المانيـا الى اتفاقية معقولة بصدد ممر دانزيغ ، فتنفست الصعداء وهنأت هتلر على فوزه الدبلوماسي العظيم هذا ، وخيل اليّ اننا عدنا الى فكرة بسمارك القائلة بان روسيا هي الخطر الذي يهدد اوربا ، لكن على المانيا ان تكبح مطامحها عن طريق التفاهم معها .

وقلت لهتلر ان الاتفاقية الالمانية الروسية ستدعم مركز المانيا في اوربا الوسطى اكثر من السلاح نفسه ، فابتسم ثانية ولم يفه بكلمة واحدة تنبيء عن مشاريعه الميكيافيلية بصدد الهجوم على بولونيا والغدر بها .

وفي صباح ٢١ اغسطس ١٩٣٩ ذهبت الى مطار برلين لتوديع ربنتروب ، ثم طلعت جريدة (بيوباختر) وهي تحمل في صفحتها الاولى صوراً التقطت لنا ونحن نقف جنباً الى جنب ، وصار الناس يلغطون بانني لعبت دوراً كبيراً في التوقيع على الاتفاقية الروسية الالمانية ، وقيل بعد ثلاثة ايام انني قابلت سفير روسيا في تركيا على باخرة في عرض البوسفور وتباحثنا مفصلاً في تقوية عرى الصداقة بين البلدين ، والواقع انني عدت الى استنبول مقتنعاً باننا اجتزنا اردأ الاحوال ، واعربت عن رأيي للحكومة التركية بان الاتفاقية الالمانية الروسية ستساعد على حل الخلاف الالماني البولوني .

وحدث ما لم اتوقعه قط ، فقد هاجم هتلر بولونيا في اواخر اغسطس ١٩٣٩ ، عاملاً على فرض حله للمسألة البولونية بمفرده ضارباً بالتهديد البريطاني الفرنسي عرض الحائط.. وفي الثالث من سبتمبر ١٩٣٩ اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا .

فادركت منذ ذلك الحين ان نهاية المانيا دنت .

كانت سكرتيرتي الامينة فراولين ماريا روز قد دونت في مذكراتها اثر اعلان الحرب هذه الكلمة : « استمعنا الى نبأ

اعلان انكلترا الحرب على المانيا من راديو السفارة في انقره ، فخرجنا جميعاً ، وبيننا السفير فون بابن الى حديقة السفارة ، فرأيته شاحب اللون ، مضطرب الاعصاب .. ثم التفت نحوي وقال لي سجلي عليّ هذه العبارة : ان هذه الحرب لأعظم جريمة اقترفها هتلر وعصابته ! ..

وكنت في حيرة من امري ازاء هذا الوضع المفاجىء أأعود الى وظيفتي في الجيش برتبة كولونيل، ام ابقى سفيراً في تركيا ، ام استقيل ؟ ..

وبقيت في تركيا لاركز جهودي من اجل حصر الحرب ، وتحديد اخطارها .

القسم الثاني

مجاملات دبلوماسية — روسيا والحياد التركى — المساعى لاجتذاب بلغاريا — الوساطة الهولاندية — نص الصلح — مشاكل مع ريبنتروب فى برلين — هتلر ومعاهدة وستفاليا — فشل الهجوم السلمى — حديث مع الملك بوريس — دخول ايطاليا الحرب — انزعاج الاتراك — هتلر حاقد على انكلترا — قصة تقرير ماسيغلى — ايطاليا تهاجم اليونان — الالتزامات التركية — تأكيدانى لعصمت اينونو — زيارة مولوتوف لبرلين — شروط روسيا لهتلر — عملية بربا روسا .

قرار هتلر المشؤوم

في انقره شارع رئيسي واحد هو شارع جنكاية ، وقد وجدنا انفسنا نعيش فيه مع اعدائنا الدبلوماسيين ، والجار حذو الجار ، وكنا اذا ما تقابلنا فيه بالمصادفة تظاهر كل منا انه لا يرى زميله ، ويستثنى من هؤلاء الدبلوماسيين الاعداء السفير البريطاني السير هيوج كناتشبول هيجيسون ، فكان يرفع قبعته كلما صادفني او صادف زوجي وكنت ارى في مسلكه لطفاً اقابله بالمثل .

اما الدبلوماسيون المحايدون فكانوا قلة ومنهم المستر لاردي وزير سويسرا المفوض الذي كان يقوم بدور الوسيط بيننا وبين السفير البريطاني لكنه كان يعطف شخصياً على قضية الحلفاء .. ومنهم ايضاً ممثل هولاندا الدبلوماسي الرائد فيليب كريستيان ويسر ، فقد تحدثت اليه كثيراً ثم اخذنا فيما بعد نعمل معاً على وضع خطة لاستتباب السلم في العالم .

وحين كانت الحملة البولونية تسير في مجراها ارسل سفير المانيا في موسكو ، الكونت شولنبرغ ، تقريراً مؤرخاً في الثاني من سبتمبر ١٩٣٩ ، يتعلق بمفاوضة الروس لتركيا لتظل الاخيرة ملتزمة جانب الحياد ، وكنت انا الذي نبهت وبنتروب الى

ضرورة الاكثار من الدول المحايدة لحصر النزاع والحيلولة دون توسيع شقة الحرب .. اما بريطانيا فكانت تحاول اقناع رومانيا بان تقدم مساعدة عسكرية لبولونيا ، وكانت محاولتها هذه تهدد الحياد التركي الذي كنانصبو اليه .

وفي ١٧ سبتمبر ١٩٣٩ احاطنا شولنبورغ علما بان تركيا عرضت على روسيا اقتراحاً لتوقيع اتفاقية للمساعدة المتبادلة على ان لا توجه ضد بريطانيا وفرنسا .. وقام الحلفاء بمشروع آخر يدعو الى تأليف كتلة بلقانية ضد المانيا تضم رومانيا ، ويوغوسلافيا ، واليونان ، وتركيا ، مع السعي لاجتذاب بلغاريا الى احضان هذه الكتلة .. فالبلغار كانوا حانقين على الحلفاء لان معاهدة الصلح لسنة ١٩١٨ قد انتزعت منهم مقدونيا واعطيت ليوغوسلافيا ، ودوبروجا لرومانيا ، وميناء ديداغاش لليونان .

وفي هذه الاثناء بحثت مع زميلي الهولاندي الشروط التي نضمن بها السلم بعد انتهاء الحملة البولونية ، وكان رأيي في ذلك ان تمنح بولونيا الاستقلال على ان تتنازل عن بعض اراضيها الغربية الى المانيا ، وان تعاد السيادة لبلاد التشك والسلوفاك على ان تظل مرتبطة بمعاهدة تحالف مع المانيا .. ولما اختمر هذا الرأي في رأسي قررت عرضه على ربنتروب وهتلر في اسرع وقت ممكن .

وفي ١٨ اكتوبر ١٩٣٩ توجهت الى برلين وكان ربنتروب

طريح الفراش ، ولما علم بمهمتي سألني ألا افاتح هتلر باي مشروع يرمي الى السلم .. لكنني لم اعبأ بتحذيره وتحدثت الى هتلر وشكوت اليه سلوك ربنتروب ، وعرضت عليه فكرة السلم ، فسألني الا آخذ اقوال ربنتروب بكثير من الاهتمام لانه اصبح عصبي المزاج .. اما المشروع فقابله بهز كتفيه ، ولما الححت عليه وضع يديه على كتفي متودداً وقال : «كلا يا عزيزي فون بابن ، هذه فرصة مناسبة لتمزيق معاهدة وستفاليا المعقودة سنة ١٦٤٨ !.. » .

فمصيبة هتلر انه كان يستوحي سياسته من اناس غير مسؤولين وكل شخص من حاشيته يعتبر نفسه خبيراً في السياسة الخارجية ومنهم بوهل ، وروزنبرغ ، وبورمان ، وغوبلز ، ومصور المستشارية هوفمان ، والسيدات اللواتي كن يترددن على القيادة العامة بين حين وآخر !..

فخرجت من عنده حانقاً على الوضع الداخلي اكثر من اي وقت مضى ، وتوجهت الى غورينغ اسأله المعونة فاجابني بانه يرحب شخصياً بانهاء الحرب ، لكن ربنتروب وهتلر لا يريدان التخلي عن محاربة بريطانيا ولا يستطيع هو ان يغير قرارهما هذا ، ثم سألني ان اكون اكثر حذراً في احاديثي مع الدبلوماسيين الاجانب بصدد تغيير النظام في المانيا ، او بصدد اعادة الملكية اليها والا فانني اهيء لنفسي ما لا اريده لها !..

وهكذا انتهى مسعاي من اجل السلم بالفشل الذريع وعدت

خائباً ، وفي صوفيا قابلت بوريس ملك بلغاريا ولم اقـل له بانني فقدت كل امل لحصر الحرب ولكنني طمأنته بانني سافعل المستحيل لضمان الحياد التركي ، وكان الملك يرى ان تظل بلاده على الحياد في حين انه يعطف على مساعي المانيا لالغـــاء مساوىء معاهدة فرساي ، اما فيما يتعلق بالاتراك فكان خصما لهم بالغريزة وسألني الا آخذ تشدقهم بالحياد بعين الجد .

واطلعت زميلي الهولاندي في انقره على فشل مهمتي السلمية فتأثر كثيراً ، واطلع بدوره السير هيجيسون على اخفاقنا هذا فدونه السفير البريطاني في مذكراته .

وفي يناير ١٩٣٩ وجهت مذكرة ثانية الى هتلر قلت له فيها ان اقوى سلاح يستعمله الحلفـاء ضدنا وصفهم النظام النازي بانه نظام دكتاتوري خانق للحريات ، وان ليس لالمانيا رداً على ذلك الا بالعودة الى الحيـاة الدستورية واعطاء الالمان الحرية لتقرير مصيرهم دون ان يخشوا الاعتقال والاعدام .. لا ادري ما حل بهذا التقرير ، لكنني علمت ان وكيل وزارة الخارجية الالمانية الهر هابيخت قد استحسنه ، لكنه قتل فيما بعـد في الجبهة الروسية .

وتطورت الحوادث بسرعة فقد غزا هتلر الدنمارك والنروج في ابريل ١٩٤٠ ، وفي العاشر من مايو هاجم البلجيـك وهولاندا وفرنسا .. وفي العاشر من يونيو ١٩٤٠ دخلت ايطاليا الحرب ، ووجدت تركيا نفسها مضطرة لتنفيـــذ التزاماتها ، نحو الحلفاء

باعلان الحرب على المحور ولم يعفهـــا من هذه الالتزامات الا الفقرة القائلة بان تركيا تكون في حل من اعلان الحرب اذا رأت نفسهـا مهددة من دولة ثالثة ؛ وكان من الجلي ايضاً ان دخول تركيا الحرب الى جانب الدول الغربيـة سيدفع الروس الى اثارة مطاليبهم بالدردنيل ، وعلى ذلك لم اتردد لحظة واحدة في عرض هذه الحجـة القوية على سراج اوغلو ومنيمنجي اوغلو لاقناعهما بضرورة التزام الحياد .

ومن الطريف ان نقرأ في مذكرات السفير البريطاني المستر هيجيسون ان السبب الرئيسي في عدم قيام الاتراك بالتزاماتهم العسكرية يرجع الى رداءة معداتهم الحربيـة ، ثم انهم لم يعرفوا بالضبط اين سيقاتلون ، كما انهم كانوا يفتقرون الى بواخر لتقلهم الى ايطاليا واليونان .. واخيراً لم يكن من اللائق ان يطلب من تركيا دخول الحرب ابان « الانحلال » الفرنسي ، وكارثة البريطانيين في دنكرك . ومع ذلك كله حاول سفيرا بريطانيا وفرنسا اقناع تركيا بدخول القتال فوجدا منها اذاناً صماء .

والواقع ان الجندي التركي مقاتل ممتاز لكن تنقصه معدات الحرب العصرية وخاصة الدبابات والطائرات، ولم تخف هذه الحقيقة عن قائد القوات التركية المرشال تشاقماق ولا عن الرئيس اينونو وكنت بدوري اوضح للقواد الاتراك اهمية آلة الحرب العصرية بواسطة ملحقي العسكري الجنرال روهده الذي كان مدربـاً عسكرياً في الجيش التركي نفسه .

وبعد اسابيع وصلت انقره بعثه انكليزية للنظر في مطاليب الاتراك العسكرية ، فاسرعت ودعوت الكثير من العسكريين الاتراك لمشاهدة فيلم الماني اخذناه في جبهات القتال وهو يمثل آلة الحرب العصرية باقوى صورة ممكنة ، وقد ترك هذا الفيلم اثراً عميقاً في نفوس اصدقائي الاتراك وهيأهم لاستقبال ضيوفهم الانكليز .

وعدت الى المانيا قبل ان يلقي هتلر خطابه في الريخستاغ في ١٩يوليو ١٩٤٠ الذي رفض فيه تأييد مطالب الايطاليين التوسعية ووافق على تلبية رغبة الفرنسيين بان يحتفظوا باسطولهم البحري فرأيت في هذا النهج ظاهرة لاعادة التوازن في اوروبا ، وقد نصحت الحكومة البريطانية بان تستفيد من هذا التحول في سياسة هتلر لكنها اعلنت صراحة انها ستقاوم كل مسعى يقوم به محبو السلام ، فاستشاط هتلر غضباً وصار يهدد بالويل والثبور لكنني لطفت من حدة غضبه وسألته ان ينصرف الى تنظيم اوروبا المحتلة بحكمة واعتدال ، وستجد بريطانيا نفسها ، مع مضي الوقت ، مضطرة للانضمام الى الحلف الاوروبي .

فارتاح هتلر لرأيي هذا وسألني ولكن كيف سنسترد نفقات الحرب اذا لم نضع فقرات خاصة بالتعويضات في معاهدة الصلح الاوروبية ؟!.. فاجبته باستطاعتنا الحصول على هذه النفقات بصورة غير مباشرة عن طريق الاتفاقيات التجارية ، وقد تأكدنا من صحة هذه النظرية من ذيول حرب ١٩١٤ .

ورفض المستر تشرشل عرض هتلر للصلح قائلاً ان حكومته قررت القتـــال ولو استمر سنوات عديدة ، بل ولو اضطرت بريطانيا للقتال بمفردها.. ثم اسرع واوفد السير ستافورد كريبس الى موسكو بمثابة سفير لبريطانيا ، وكانت مهمته الرئيسية اقناع الروس لتغيير موقفهم ؛ وكتب سفيرنا في موسكو بتاريخ ١٣ يوليو ١٩٤٠ يقول ان مولوتوف افاده بان البريطـانيين على استعـــداد للاعتراف بالبلقان كمنطقة نفوذ روسية ، وللاقرار بالمطامح الروسية في الدردنيل ، وكان هذا العمل الدبلوماسي البريطاني عجيبـاً بالنسبة لتركيا التي تعتبر نفسها من الوجهة الرسمية حليفة لبريطانيا .

وقام ربنتروب في هذه الآونة بدسيسة جديدة فقد قيل انه اكتشف في ملفات وزارة الخارجية الفرنسية وثيقـة من سفير فرنسا في تركيا المسيو ماسيغلي يقول فيها انه قابل السيد سراج اوغلو ، وقد اقترح عليه هذا ان يضرب الحلفاء آبار البترول في باكو بالقنابل ، وقد احدث نشر هذه الوثيقة ضجة في موسكو مما اضطر الحكومة التركية الى نفي هذه الشائعة التي قصد منها ربنتروب اقصاء سراج اوغلو ، الذي يعطف على البريطانيين ، عن وزارة الخارجية ، واستبداله بشخص آخر يعطف على المانيا الهتلرية .

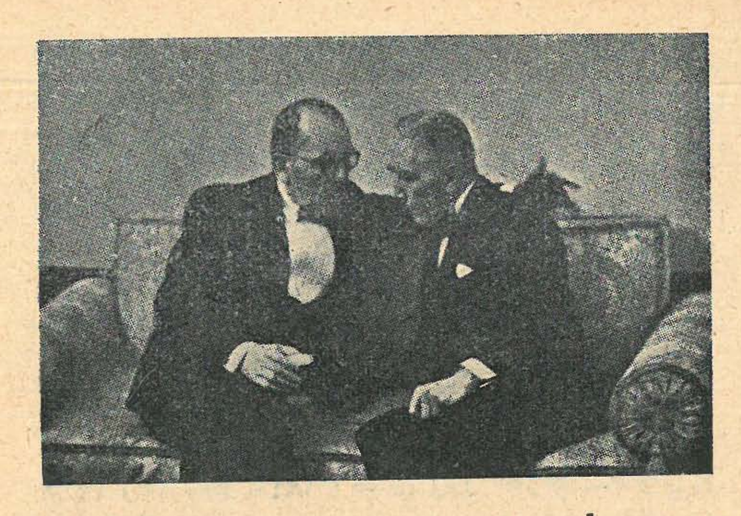
وفي ٢٨ اكتوبر ١٩٤٠ اعتدت القوات الايطاليـة المرابطة في البانيا على اليونان ، وبذلك اصبحت وصية آتاتورك السياسية

حقيقة راهنة .. وكان من العسير على هتلر ان يوقف زميله موسوليني عند حد لانه علمه سياسة الامر الواقع ، وبذلك عاد الكيد الى النحر .

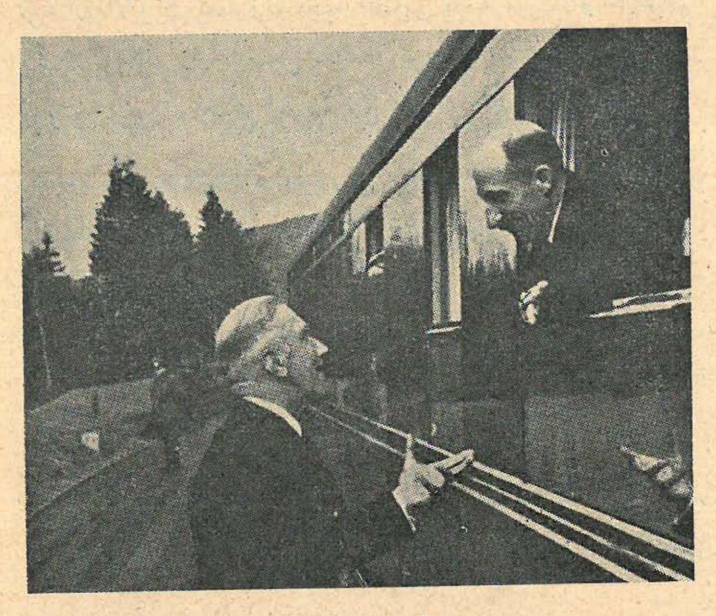
كانت الصدمة للاتراك عنيفــة ، وقد استنتجوا منها ان الايطاليين لم يعتدوا على اليونان الا بموافقة هتلر ، وان الخطوة التالية ستكون غزو الالمان للبلقان.. فاكفهر الجو واغتنم الحلفاء هذا الوضع وراحوا يضغطون بشدة على الاتراك ليتراجعوا عن سياسة الالتزامات المزدوجة .

وصادف اليوم التالي عيد تأسيس الجمهورية التركية ، فاجتمع رجال السلك الديبلوماسي جميعهـم في دار مجلس النواب التركي ليهنئوا رئيس الدولة ، فانقسموا الى معسكرين في غرفتين منفصلتين .. وصاروا يدخلون على الرئيس وفاقاً للاحرف الابجدية ، ولما ولجتها التقيت بالسير هيجيسون خارجاً من قاعة الاستقبال ، وحين وقفت امام الرئيس اينونو وجدته ممتقــع اللون ، ولم يظهر لي تلك المودة التي اعتاد اظهارها منذ ان كنا زملاء سلاح في الحرب العالمية الاولى .

فحييته باسم الحكومة الالمانية واضفت قائلاً : « انني اعرف يا حضرة الرئيس ما تحدثكم به نفسكم في هذه الاوقات الحرجة ، وانني مدرك خطورة القرار الذي ستتخـذونه ، ولذا استأذنكم القول بانكم ربما لا تثقون كثيراً بالضمانات الدبلوماسية ، ولكنني اقف امامكم الآن كرجل يحب تركيا ويعتبرها وطنه الثاني وكان له



فون پاپن يتحدث الى سراج اوغلو في موضوع الحياد التركي



فون پاپن يتحدث الى ملك بلغاريا

الشرف بالوقوف الى جانبكم في الحرب الماضيـــة بمثابة زميل بالسلاح ، اقول بانني اتعهد ما دمت اشغل منصبي كسفير لالمانيا بالا تخرق بلادي حالة السلم مع تركيا .. ارجو ان تأخذوا تصريحي هذا بعين الاعتبار لدى تقريركم الموقف الذي تودون اتخاذه .

فرمقني الرئيس عصمت اينونو بعينيه البراقتين ، وشد على يدي فادركت اننا قد تفاهمنا .

وبعد ايام قلائل استدعيت الى برلين وتحادثت مع ربنتروب في ١٢ و١٣ نوفمبر ١٩٤٠ ، فسألني وزير الخارجيـــة رأيي في موقف الاتراك ومشكلة الدردنيل ، فقلت له ما قلته اكثر من مرة ان الاتراك يعتبرون قضية المضايق قضية موت او حياة لهم ، وعرضت عليه رأياً لتعديل معاهدة مونترو بحيث يسمح الاتراك للروس بمرور بواخرهم الحربية من المضائق ضمن شروط معينة .

اما هتلر فكان ادق من وزير خارجيته فقد اراد ان يعرف بالضبط ما الذي نستطيع تقديمه للروس لكي يقفوا الى جانبنا .. ثم افترض تقسيم الامبراطورية البريطانية بين الجانبين ، ومنح الروس امتيازات في الخليج الفارسي بما فيه آبار بترول عبادان لقاء تنازلهم عن ابار البترول في رومانيـــا .. ولكن مسألة الدردنيل حيرته وبلبلت افكاره .

واخذت ابين له الناحية التاريخية من موقف الاتراك فقلت له انهم سيطروا على الدردنيل منذ ستماية سنة ، وفي سنة ١٧٠٠

فقط حدثت اول فجوة في المضائق وقت ان نال بطرس الاكبر حق مرور الاسطول الروسي منها وفاقاً لمعاهدة استنبول، ومنذ ذلك التاريخ والروس يطمحون للاشراف على الدردنيل ليصبحوا دولة على البحر الابيض المتوسط ، وليجعلوا البحر الاسود بحيرة روسية .

وعرضت عليه اقتراحي الخاص بتعديل فقرات من معاهدة مونترو (التي اعادت للاتراك سيادتهم على الدردنيل في ٢١ يوليو ١٩٣٦) لمصلحة الروس ، وفي الوقت ذاته تتعهد تركيا المحافظة على الحالة الراهنة فيما يتعلق باغلاق الدردنيل في وجه المراكب الحربية المتجهة نحو البحر الاسود ما دامت تركيا ملتزمة جانب الحياد .

وجاء مولوتوف الى برلين في ١٢ نوفمبر ١٩٤٠ وبصحبته وكيل وزارة الخارجية الروسية ديكانوزوف ، واتضح لهتلر ان الروس لا يهتمون كثيراً بمستقبل النظام الجديد ، والذي يهمهم بالدرجة الاولى الحصول على فوائد سريعة من فنلندا والبلطيق .. واغتنمت هذه الفرصة وسألته : ما الذي ستجنيه من اقتسامك العالم مع الروس؟.. وما هو الثمن الذي ستدفعه للروس لقاء تحالفهم معك أتركيا ام بلغاريا ؟ .. لا تنس يا عزيزي ادولف هتلر باننا وحدنا قوانا معاً في يناير سنة ١٩٣٣ للمحافظة على المانيا والعالم كله من الشيوعية .. فتأملني هتلر كثيراً لكنه لم يحر جواباً !..

وفي ٢٠ نوفمبر ١٩٤٠ انضمت المجر الى دول المحور .

وفي ٢٤ نوفمبر ١٩٤٠ لحقت بها رومانيا .

وفي ٢٦ نوفمبر ١٩٤٠ تلقى ربنتروب شروط روسيا للتحالف مع المانيا وهي :

اولاً – انسحاب القوات الالمانية من فنلندا على وجه السرعة.

ثانياً – توقيع معاهدة الدفاع المشترك مع بلغاريا .

ثالثاً – منح روسيا تسهيلات في البوسفور والدردنيل .

رابعاً – الاعتراف بان الاراضي الواقعة الى جنوب باطوم ، والى جنوب باكو باتجاه الخليج الفارسي هي مناطق نفوذ روسية.

وكان رد هتلر على هذه المذكرة الروسية ان اصدر اوامره الى هيئة اركان حربه بالاستعداد للقيام بعملية برباروسا ، اي مهاجمة الاتحاد السوفياتي ، على ان تنتهي هذه العملية في ١٥ مايو ١٩٤١ !..

لا ادري اذا كان لمعارضتي الدائمة لرغائب الروس اي اثر في حمل هتلر على اتخاذ هذا القرار المشؤوم .

القسم الثالث

حرب على الجبهتين – الخطر من مهاجمة تركيا –– ايدن وديل في انقره – ضمانات هتلر – الحملة على يوغسلافيا – مطالب الملك بوريس – غليان في انقره – الثورة في العراق – معاهدة الصداقة الالمانية التركية – المانيا تغزو روسيا – حمى الجاسوسية الالمانية –– الحرب مع أميركا.

المنافسة من اجل الدردنيل

لقد اوقفت مقاومة اليونانيين الرائعة الهجوم الايطالي، وعلمنا من وزيرنا المفوض في اثينا ، زميلي القديم البرنس ارباخ ان البريطانيين يعتزمون غزو اليونان ، واخذ هتلر يفكر بدوره بمد يد المعونة للايطاليين في اليونان .

كان للالمان عدداً كبيراً من المدربين العسكريين في رومانيا، ثم زودوا في يناير ١٩٤١ بعدد من الفرق المقـــاتلة ؛ واعطاء الاوامر لهذه القوات بالذهاب الى اليونان سيدفعها الى اجتياز بلغاريا ، وسيكون الاتراك في الحالة هذه مضطرين الى تنفيذ تعهداتهم المنصوصة في الحلف البلقـاني ، اي دخول الحرب الى جانب الحلفاء .

وكانت القيادة الالمانية العـــامة في الوقت نفسه تعد خطة لمواصلة الحرب ضد بريطانيا ، بعد ان فشلت الغارات الجوية في تعبيد الطريق لغزو الجزر البريطانية .. وقد توصلت القيادة الى رأي مفاده انه يستحيل معالجة الامبراطورية البريطانية الا بانزال ضربة قاضيــة على خطوط مواصلاتها الحيوية في قناة السويس ، وآبار البترول في ايران ، والطريق الوحيد لتحقيق هذا الهدف

هو صحراء شمال افريقيا او عبر الاراضي السورية.. ولما اصيبت حملة بنغازي بالفشل الماحق لم يبق امام القيادة الالمانية للوصول الى نيل مصر سوى اجتياز سوريا .

وما دام تحقيق هذه الخطة متعذراً بدون تركيا فقد سألني ربنتروب، الذي يعتبر المعاهدات قصاصات ورق، ان الح على الاتراك بوجوب الوقوف الى جانب المانيا ، وكان ردي على ذلك ان الاتراك مصممون على التمسك بالتزاماتهم الدولية ، ثم اتيحت لي الفرصة ان اشرح لهتلر شخصياً صعوبة الحالة وافهمته باننا لو هاجمنا تركيا وبلغنا المضائق فان وراء ذلك مرحلة اخرى هي الانتحار بعينه .. فالدفاع عن الاناضول بقوات غازية ليس لها سوى خط مواصلات واحد يمر باسكي شهر ومرتفعات جبال طوروس ، خط مليء بالجسور والانفاق ، والمقـــاتلين الاتراك الاشاوس ، لن يسفر عنه سوى الفشل الذريع .

ويبدو انني اقنعت هتلر ، والجنرال هالدر رئيس اركان حرب القوات الالمانية بوجهة نظري هذه فتركوا مسألة غزو تركيا جانباً .

وفي الثامن والعشرين من شهر يناير ١٩٤١ ارسلت تقريراً مسهباً لهتلر شرحت فيه الحالة في جنوب اوروبا الشرقي ، مشيراً الى خطر ضم بلغاريا الى مسرح الحرب ، وسألته ان يوجه رسالة شخصية الى رئيس الدولة التركية يوضح له فيها الاسباب التي تحدو بالمانيا على غزو بلغاريا ، ويطمئنه بان عملية كهذه لن تمس سلامة

الاراضي التركية ، ويتعهد له بان ترابط القوات الالمانية على بعد عشرين كيلومتر على الاقل من الحدود البلغارية التركية .

وفي هذه الآونة وجه المستر تشرشل رسالة شخصية الى الرئيس التركي ، يلفت فيها نظره الى الخطر المتأتي عن احتلال الالمان لبلغاريا ، ويدعوه الى اتخاذ اجراءات دفاعية قبل فوات الآوان، وعرض عليه عشرة اسراب من المقاتلات وقاذفات القنابل، ومائة مدفع مضاد للطائرات ، غير ان الرئيس التركي ووزرائه نظروا للأمر نظرة واقعية وآثروا البقاء على الحياد .

ثم تأزمت الحالة .. وفي السادس والعشرين من شهر فبراير ١٩٤١ وصل انقره كل من المستر انطوني ايدن والفيلد مارشال السير جون ديل ليدرسا امكانيات تأليف جبهة بلقانية .. وقبل وصولهما بيوم واحد تقابلت مع رئيس الوزارة التركية السيد رفيق سايدام واعضاء وزارته ، وحدثتهم بضرورة الحياد التركي ، فوجدت منهم ترحيباً ، ولما جاء المستر ايدن وزميله وجدا الوضع في تركيا غير مشجع ، وان الاتراك على استعداد للقتال في سبيل الدفاع عن بلادهم فقط .

وفي يوم وصول المستر ايدن والسير جون ديل الى انقره ، اعلنت بلغاريا انضمامها الى المحور ، وبعد ايام تلقيت رسالة من هتلر موجهة الى الرئيس التركي يطمئنه فيها بان الجيوش الالمانية ستقف بعيداً عن الحدود التركية ، وكانت هذه الرسالة مفاجأة سارة للسيد اينونو فقبلها شاكراً واكد من جديد رغبة تركيا

بان تظل ملتزمة جانب الحياد .

ثم بدأت الحملة الالمانية على يوغسلافيا، وكان هتلر يسرع بتصفية الوضع في البلقان لينفذ خطته في روسيا ، وكانت العلاقات بين المانيا وروسيا تزداد سوءاً حتى ان سفير روسيا في انقره المسيو فينوغرادوف دعاني في اول ابريل ١٩٤١ وطلب مني ايضاحاً بصدد اعلان المانيا استعدادها للدفاع عن الموانىء الرومانية والبلغارية ضد اي اعتداء ، فقلت له ان هذا التحذير موجه ضد الاسطول البريطاني !..

وبينما كان القتال دائراً في يوغوسلافيا طلب هتلر الي ان ازوره في القيادة العامة فوصلت اليها في ١٨ ابريل ١٩٤١، وتوجهت اليه وهو في قطاره الخاص فوجدت في حضرته بوريس ملك بلغاريا جاء ليفاوضه في بعض الاراضي اليوغوسلافية واليونانية والتركية لقاء دخول بلغاريا الحرب الى جانبه ، وقد اخذ رأيي في الامر .

ثم قابلت ربنتروب فسألني كيف لنا ان نضمن الحصول على مادة الكروم الحربية من تركيا بصورة دائمة ؟..

كانت المانيا المشتري الاول لمادة الكروم الحربية من تركيا ، غير ان بريطانيا اشترطت في تحالفها مع تركيا الا تبيع مادة الكروم لدول المحور، وظل هذا الشرط قائماً الى ان تم توقيع معاهدة الصداقة بين المانيا وتركيا في يونيو ١٩٤٣ فتمكنت من شراء كميات كبيرة من مادة الكروم، واستمرت المتاجرة بهذه المادة حتى صيف سنة ١٩٤٤ عندما تمكنت الدول

الغربية من الضغط ثانية على تركيا ومنعها من بيعنا تلك المادة الهامة .

وعدت الى انقره فوجدتها تغلي كالمرجل ، وكان لغيابي الطويل ان اثار الكثير من الشائعات .. وجدت الاتراك يتساءلون : هل توجه المانيا انذاراً الى تركيا تطلب فيه انضمامها الى دول المحور بعد ان تم لهذه اجتياح البلقان واليونان ؟..وهل تطلب المانيا من تركيا ان تشترك في الثورة التي قامت في العراق ضد البريطانيين ؟..

لقد ازعجتني حوادث العراق خلال ثلاثة اسابيع على التوالي فكنتيجة لمعاهدة ١٩٣٣ اصبح العراق محمية بريطانية ، وقاعدة لسلاح الجو الملكي في الحبانية ، وفي شهر مارس ١٩٤١ هبت في العراق حركة تحررية عربية بقيادة رشيد علي الكيلاني ، وقد تمكنت هذه الحركة من ازالة الحكومة الموالية للبريطانيين ، ولما رأت الحكومة البريطانية انها تواجه خطراً يهدد احتياطيها في البترول وانابيبه ، امرت فرقة هندية بالزحف على البصرة ، فاضطر رشيد على الكيلاني الى اتخاذ تدابير عسكرية قبل ان يكسب الوقت ويوطد علاقاته مع دول المحور .. وهاجمت القوات العراقية القواعد البريطانية في الحبانية لكنها عجزت عن احتلالها وتقهقرت امام قوات بريطانية تفوقها عدة وعدداً .

جاءت الظروف موالية لهتلر وقادته ، فقد اتموا الزحف على اليونان بنجاح تام ، وكان لهم فيها قوات كبيرة مدربة على

الهبوط بالمظلات وهي على اتم الاستعداد للاغارة على جزيرة كريت، وكانت تطمح هذه القوات للاغارة ايضاً على بغداد والبصرة فجأة لتلقي بالقوات الهندية الى البحر ولتسيطر على الخليج الفارسي دفعة واحدة .

كان مكتوب لهذه العملية النجاح التام ، فرئيس اركان حرب القوات الفرنسية في سوريا الجنرال دينتز رجل موال لحكومة فيشي ، والقوات البريطانية في فلسطين ضعيفة ، ويقيني ان عملية كهذه لو تمت لتقطعت خطوط مواصلات الامبراطورية البريطانية ، ولسببت رد فعل عنيف جداً .

لم يكن للالمان الوسائل التي تكفل خطوط مواصلاتهم الى سوريا ما دام شرقي البحر المتوسط في ايدي الحلفاء.. اما الطريق البري الذي يجتاز تركيا فكان مقفلاً وسيظل مقفلاً ما دام هتلر مقتنع برأيي في عدم مساس الحياد التركي ، ولم يبق لنا سوى الاعتماد على الاسطول الايطالي ليفتح الطريق البحري ، غير ان انكساره في معركة ما تابان في نهاية مارس ١٩٤١ قد ضعضع معنوياته ، ثم اثبت هجوم القوات الالمانية على كريت عدم فائدة الاسطول الايطالي بالمرّة .. وهكذا كان من العسير علينا ان نقيم خط اتصال عبر سوريا دون المعونة التركية ، والمعنى من هذا انه استحال علينا مد يد المعونة للحركة الثورية في بغداد والبصرة .

اما المساعي التي بذلها الهر راهن وامثاله لانقاذ الموقف في

العراق فكانت ضرباً من المغامرة ليس الا .. لقد سافر راهن هذا الى بيروت ليحث الجنرال دينتز على مساعدة رشيد عالي الكيلاني والحاج امين الحسيني المفتي الاكبر المتعاون مع الكيلاني في الثورة .. وقد حدث بالفعل ان هبطت بضع طائرات المانية في الموصل في الثالث عشر من شهر مايو ١٩٤١ وكانت معونتها قليلة الفائدة.. ثم توجه رسول الماني آخر الى بغداد وهو الهر فون بلومبرغ ، ابن الجنرال بلومبرغ ، غير ان رجال رشيد عالي الكيلاني اسقطوا طائرته وقتل خطأ .. ثم جاء خلفه الجنرال فيلمي وهو يحمل تعليمات صريحة من هتلر بان يساعد حركة التحرر العربية باية طريقة كانت ، وقد نصت تلك التعليمات على هذه الكلمات الجوفاء : « العمل على تحطيم المراكز البريطانية الواقعة ما بين الخليج الفارسي والبحر الابيض المتوسط بواسطة الهجوم الموحد على قناة السويس ! » .

وكان الهر راهن في هذه الاثناء منهمكاً في جمع السلاح للفرق العراقية التي لاوجود لها ، اوالتي تم تشتيتها.. وكان هدفه الحقيقي الحصول على البترول اللازم لسلاح الطيران الالماني ، والسبيل الوحيد للحصول عليه هو عبر الاراضي التركية.. ولهذا السبب كان ربنتروب يمطرني ببرقياته سائلاً اياي ان احمل الاتراك على السماح بمرور جميع الموادالحربية عبر الاراضي التركية فرفض الاتراك هـذا الطلب باثتثناء شحنات من البترول ، وشرحت لربنتروب من جديد الموقف التركي ، واهملت طلبه

بمقابلة سراج اوغلو والتحدث اليه في هذا الشأن ، اما الهر راهن فقد جـاء الى انقره لحـل مشكلة النقليات .. وذكر في كتابه فيما بعد انني تركته ينتظر مقابلتي مدة ساعة ونصف الساعة لبينما انتهي من لعبـة التنس !.. والواقع ان راهن هذا كان يعرف تركيا معرفة جيدة لكنه لم يتعلم المثل التركي القائل (العجلة من الشيطان) .. وعلى كل فالثورة العراقية انتهت الى الفشـل في الثلاثين من مايو ١٩٤١ بظهور القوات الهندية على ابواب بغداد، وفر رشيد عالي الكيلاني والمفتى الاكبر الى ايران .. كما ان مغامرة الهر راهن انتهت الى الفشل ايضاً وفر بدوره وهو يعزي نفسه بانه زود الفيلد مارشال روميل بفترة للتنفس في حـين ان نشاطه لم يترك اقل اثر على العمليات الحربية في شمـال افريقيا ، حتى ان القيادة البريطانية العليا لم تنقل جندياً واحداً من وادي النيل .

لقد احاطني الرئيس التركي علمـاً في تلـك الاثناء انه مستعد للتوسط من اجل الصلح اذا كانت الحكومة الالمانية تشعربانها قادرة على عرض شروط عملية وقابلة للتحقيق.. وكان من الواضح ان من مصلحة تركيا السعي من اجل الصلح ، فالقوات الالمانية مرابطة على حدودها الشمالية والغربية، ولا تتوقع هي الحصول على معونة عسكرية هامة من البريطانيين في حالة الاعتداء على اراضيها، الا ان هتلر وربنتروب كانا غير مستعدين وقتئذ قبول اي عرض للصلح، وقال لي روبنتروب مرة : « الم تدرك بعد اننا قد ربحنا الحرب!».

واخذت اعمل من جهتي ، بعـــلم من برلين ، على تحويل العلاقات التركية الالمانية من حالة غير المتحاربين الى حالة حياد صحيح ، وصداقة وثيقـة ، وقلت لسراج اوغلو ، ومنيمنجي اوغلو انه ينبغي على البلدين ان يوقعـا ميثاق صداقة لا تتعارض مع التزاماتهما الاخرى ، وكان موقف ربنتروب من مسعاي هذا ان اصرّ على القول باستحالة التوقيع على اتفاقية مع تركيا تذكر فيها انها مقيدة بالتزامات مع بريطانيـا .. وفي اواسط يونيو ١٩٤١ كتبت لربنتروب اقول له ان الاتراك شرفاء ، ومن عادة الشريف ان يكون صادقاً في كلامه ووعده ، ومن الخير ان نعقد اتفاقية صداقة مع تركيا ، وفي ١٨ يونيو ١٩٤١ وقعنا الاتفاقية التالية :

« تحقيقاً لرغبة الريخ الالماني ، والجمهورية التركية في توطيد عرى الصداقة المتبادلة بين الطرفين ، قد توصلا الى ما يلي : —

اولاً — يتعهد الريخ الالماني والجمهورية التركية بان يحترما سلامة اراضيهما ، والا يتخذا اية اجراءات مخالفة لهذه الاتفاقية مباشرة او غير مباشرة .

ثانياً — يتعهد الريخ الالماني ، والجمهورية التركية ان يبحثا معاً كل المسائل ذات المنافع المتبادلة بروح الصداقة ، وهدفهما دائماً الوصول الى تفاهم مرضٍ .

ثالثاً — يجري مفعول هذه الاتفاقية ابتداء من اليوم الذي توقع فيه ، ويعمل بها خلال عشر سنوات .

وكان اعلان هذه الاتفاقية مثار دهشة عامة .. وبعد توقيعها بستــة ايام ، اي في الثاني والعشرين من شهر يونيو ١٩٤١ اجتــازت القوات الرومانية والالمانية الحدود الروسية في جبهة تمتـد من دول البلطيق حتى البحر الاسود ، وقد اعتبرتُ هذا الهجوم بمثابة ضغط سياسي موقت لارغام الروس على التزامهم جانب الحياد .. لقد ادهشتني هذه الحوادث كما ادهشت الجمهور التركي ، وتلقيت ذات ليلة برقية مستعجلة من ربنتروب يأمرني فيها ان ابلغ الحكومة التركية الاسباب التي دعتنا الى مهاجمة الاراضي الروسية ، اما زميلي السفير البريطاني في انقره فقد كان يعتقد بان لتوقيعي الاتفاقية الالمانية التركية علاقة وثيقة بالهجوم على روسيا ، وهذا الامر انفيه قطعاً .

ولما انتشرت هذه الشائعة عمد سراج اوغلو الى القـاء خطاب في المجلس الوطني التركي بتاريـخ ٢٥ يونيو ١٩٤١ قال فيه : « هذه الاتفاقية هي عماد السلام ، وهدفها نسف الحرب والقضاء عليهـا .. انهـا تفيد الشعبين التركي والالماني والانسانية جمعاء.. فالعالم كله مرتبط الآن مع تركيا بمحالفات واتفاقيات» .

ورأيت بعد الزحف على روسيا ان اعيد اثارة مسألة الصلـح مع بريطانيا فتحدثت الى سراج اوغلو في هذا الشأن واقترحت عليه ان يتصل بالسفير البريطاني ويعرض عليه فكرة التفاهم مع اوروبا الغربية وتوحيد الجهـود ضـد الدولة التي ترمي الى تهديم العالم الغربي .. فقبــل سراج اوغلو الاقتراح واخذ على عاتقه

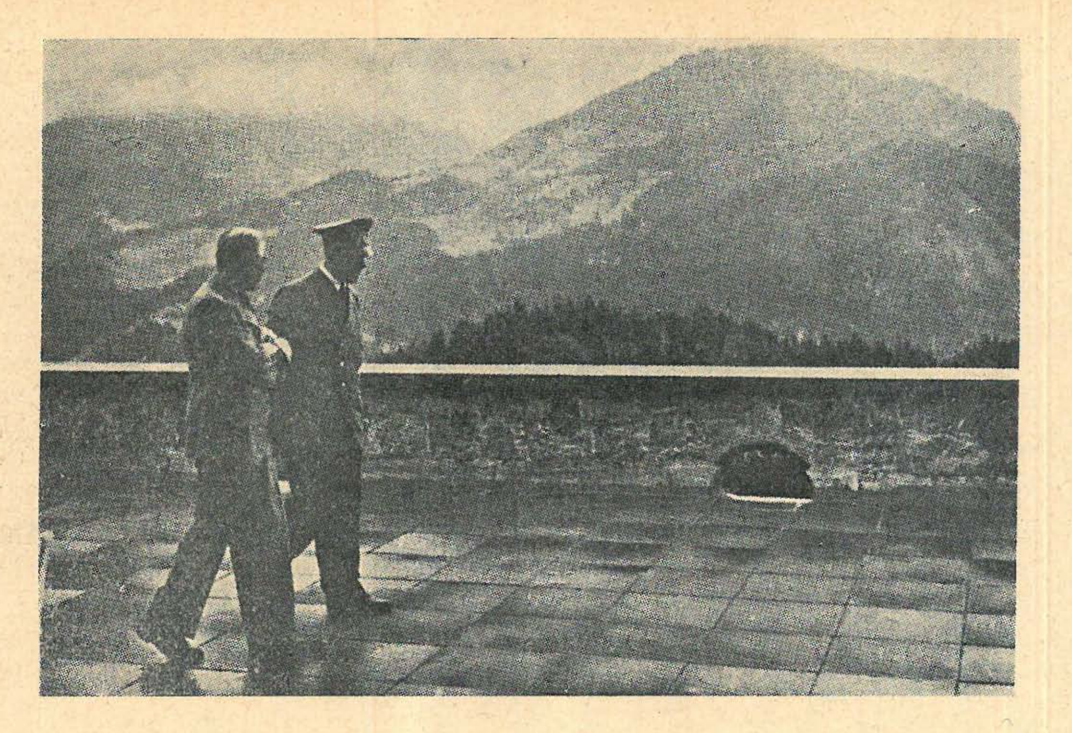
الاتصال بالمستر هيجيسون . ثم جاء خطاب المستر تشرشل الداعي الى مساعدة روسيا ، وقضي على الاقتراح بطبيعة الحال.

ثم ينتقل فون بابن للتحدث عن الجاسوسية الالمانية في تركيا مبيناً كيف ان جماعة « شيرهينست » التي يقودها الاميرال كاناريس ، وجماعة « اوسلاندس » التي يقودها بوهل ، وجماعة «ابوير» التابعة للجيش كانت تنافس بعضها في حقل الجاسوسية منافسة شديدة الى درجة تبليغ دوائر الامن التركية بمظاهر نشاطها !..

اجل كان الالمان في تركيا يتجسسون على بعضهم بعضاً ، وممثلوا الدول المحايدة يتجسسون على الدول المحاربة ، وكان ربنتروب يتلقى التقارير باستمرار من عملائه المنتشرين في كل مكان.

وفي السادس والعشرين من شهر سبتمبر ١٩٤١ تلقيت رسالة من ربنتروب وهذا نصها :

« علمت من مصدر سري بأنك تحدثت مؤخراً الى السيد جيريد (سفير تركيا في برلين) ، وقد ارسل هذا السفير تقريراً ضافياً الى حكومته حول مقابلتك له ، وتحدثك اليه ، وجاء في ذلك التقرير انك تعرضت الى بعض التفصيلات العسكرية كقولك انك تقدر عدد القوات الروسية في القرم بفرقة ونصف الفرقة ، وان الجيش الالماني سيحتل المناطق الصناعية في روسيا الاوروبية بما فيها موسكو بالذات في اواخر شهر اكتوبر ١٩٤١ ، وانك ترى الفرصة ملائمة لاثارة موضوع الصلح بعد تحطيم الجيش الروسي .



فون بابن وهتلر يتبادلان الرأى فى مسألة الدردنيل

فحديث كهذا سيتسرب الى البريطانيين ومنهم الى الروس، واني اسألك بان تكون حذراً بتصريحاتك في الوقت الحاضر وخاصة فيما يتعلق بالعمليات الحربية ، واذا ما تحدثت فيها فقل ان الجيش الروسي قد حطم في معظمه ، وان ما تبقى من قوات روسية سيفنى حتى نهاية هذا العام (١٩٤١) .. واذكر باننا عندما يتم لنا الاستيلاء على المناطق الصناعية والزراعية ، ومصادر المواد الخام في روسيا ، سنكون على استعداد لمواصلة الحرب ضد بريطانيا مدة ثلاثين سنة هذا اذا تمكنت المعدة البريطانية من هضم هذه المدة ! ».

وحلت النكبة بالجيش الالماني وهو على ابواب موسكو ، وكان اثرها على الالمان هائلا .. وفي السابع من شهر ديسمبر ١٩٤١ هاجم اليابانيون الاسطول الاميركي في برل هاربور ، والظاهر ان اليابانيين كانوا يجهلون ما حل بزملائهم الالمان في الجبهة الروسية .. وبعد اربعة ايام من ذلك التاريخ اعلنت المانيا الحرب على الولايات المتحدة.. وهكذا وجدت نفسي امام مجموعة من المشاكل .. ورحت افكر في طريقة لتحرير الشعب الالماني من نظام يقود المانيا واوروبا الى الهلاك .

القسم الرابع

محاولة اغتيال - هتلر يعرض على تركيا اسلحة - التقرب الى الفاتيكان - دسائس حزب النازى فى تركيا - انعدام التعاون بين دول المحور - حادث صيد البط - سراج اوغلو رئيس وزراء - ستالينجراد نقطة تحول - التهديد الروسى - الاستسلام دون قيد ولا شرط - مقابلة بين اينونو وتشرشل - خطابى فى استنبول - سخط ريبنتروب - حركة المقاومة السرية فى المانيا - التقرب الى روزفلت - الكردينال سبلمان يزور تركيا - رسائل اسرى الحرب - استسلام ايطاليا - مشكلة مع حاكمين - رسول غامض .

التقرب الى روزفلت

كان شتاء سنة ١٩٤١ – ١٩٤٢ في انقرة قاسياً ، ولو ان العاصمة التركية تقع على الخط المعتدل الحرارة والبرودة .. وترجع برودة الطقس في تلك السنة الى الرياح التي هبت من هضاب الاناضول فبلغت الدرجة العشرين تحت الصفر ، فتساقطت الثلوج بكثرة وكست المنطقة كلها بحلة ناصعة البياض .. وراحت الذئاب تتسلل الى ضواحي انقره وقد عضها الجوع .

كانت الحياة الاجتماعية في انقره خاملة لدرجة ما ، ولم نشهد او نسمع الا القليل من المسرحيات والحفلات الموسيقية ، وكان معظم افراد السلك الدبلوماسي يقضون الامسيات بلعب البردج او البوكر .. اما انا فالبرغم من البرد الشديد ، كنت اجد لذة في اهمال اللعب بالورق والخروج مع زوجي لاصطياد الذئاب على ضوء القمر !

وفي وسط هذه الحياة الرتيبة .. متاعب في النهار ، وضجر في الليل ، انفجرت قنبلة ! ..

ففي الساعة العاشرة من صباح ٢٤ فبراير ١٩٤٢ ، وبينما كنت انا وزوجي نجتاز بوليفار اتاتورك الخالي من المارة ، ونحن

في طريقنا الى السفارة، هزنا على حين غرة انفجار عنيف وطرحنا ارضاً .. وبعد لحظات انتصبت مذعوراً وساعدت زوجي على النهوض ، واتضح لي لاول وهلة اننا وقعنا في مكيدة ، فتلفت حولي فلم ار اي شخص لا ماراً ولا راكضاً واستنتجت من ذلك ان لغماً وضع في طريقنا وقد جرى تفجيره بسلك كهربائي مستتر من احد البيوت المجاورة .

ومرت بنا سيارة فسألت سائقها ان يسرع ويشعر السفارة الالمانية والشرطة بما حدث، وسرعان ما تبين لنا اننا لسنا بحاجة الى معونة هذا السائق ، فالانفجار قد حطم زجاج البيوت على امتداد مئات الامتار ، وتقاطر الناس من كل ناحية لاستجلاء حقيقة الامر ، ثم جاء رجال الامن الاتراك الممتازين وشرعوا بالتحقيق الدقيق فقطعوا كل اتصال مع الخارج فوراً ، لكن انباء الاعتداء انتشرت في استنبول والخارج بسرعة فائقة .

وفي خلال اربع وعشرين ساعة توصلت الشرطة التركية الى حل اللغز .. وقد ساعدها على حله وجود اشلاء شخص مبعثرة على مسافات بعيدة، ووجود حذاء علقه الانفجار على قمة شجرة ! وقادت هذه البقايا والمخلفات البوليس التركي الى تلميذ مقدوني في جامعة استنبول ، يقيم في فندق صغير بانقره .. وتطور التحقيق مع هـــذا التلميذ الى تطويق السفارة السوفياتية في استنبول بالرغم من احتجاج السفير السوفياتي الصارخ .. لكن الحكومة التركية ابت رفع الحصار عن السفارة قبل ان تسلمها تلميذاً لجأ

اليها ويشتبه بان له ضلعاً في المؤامرة ، وصرّح رئيس الوزارة التركية بانه لن يتخلى عن التحقيق في القضية مهما كانت النتائج السياسية .

واسفر التفتيش في السفارة عن لا شيء ويقال ان المحرك الاول في المؤامرة قد تمكن من اجتياز الحدود بالقرب من ارضروم في الوقت المناسب .

والواقع ان هذه المؤامرة اثارت الكثير من التكهنات في انقره ، ففي بادىء الامر قيل ان الاعتداء كان موجهاً ضد المرشال شاقماق الذي اجتاز بوليفار اتاتورك قبل الانفجار بدقائق معدودات .. اما الروس ، ورجال الشحنة السرية البريطانية ، والغستابو فقد كانوا يلصقون التهم ببعضهم بعضا ..

ومما اثار اشتباهي الشخصي بالانكليز انهم كانوا يعرفون بالضبط ساعات خروجي من البيت وعودتي اليه ، فقد استأجروا بيتاً مقابل بيتي وكانوا يراقبون منه كل حركاتي وسكناتي بواسطة منظار ميدان !.. غير ان السفير البريطاني قد أكد لي بواسطة الزملاء المحايدين ان رجاله ابرياء من تهمة الاعتداء .

ثم وقع اشتباهي على رجال الغستابو ومما دعم هذا الاشتباه احاديث تلفونية خفية سمعها الناس وكلها تشير الى وجود اصبع للغستابو في المؤامرة .

واخيراً ألصق الاتراك التهمة بالروس ، اما انا فلا ادري في الواقع من الذي دبر المؤامرة ونفذها.. وهكذا طويت هذه

القضية الى الابد .

وحوالي منتصف شهر مارس ١٩٤٢ استقلت الطـائرة الى برلين للحصول على ضمانات جديدة لتركيا.. فتهديد الروس المباشر للدردنيل قد خفت حدته ، الا ان الانكليز يشددون الضغط على الاتراك لكي يدخلوا الحرب ما دامت القوات الالمانية تتقهقر في جبهتي روسيا وشمال افريقيا.. وكان من صالحنا ان نبقي الاتراك مستقلين عن حلفائهم البريطانيين بقدر المستطاع .

وارسل الانكليز في تلك الاثنـــاء بعثة عسكرية الى انقره لتدرس حاجيات تركيا في الاسلحة ، لكنها لم تتوفق في مهمتها هذه لان الاتراك كانوا ضنينين بالتدخل المسلح ضـد المحور.. وكان رأيي ان نغتنم هذه الفرصة ونغذ الاتراك باسلحة كافية لتموين فرقتين آليتين تمكنهم من اتبـــاع سياسة مستقلة بين المعسكرين .

وكان رد هتلر على هذه الفكرة بقوله : وماذا يحصل لو استعمل الاتراك هاتين الفرقتين ضدنا ؟..

فأجبته : كن على يقين بأن ذلك لن يحدث . فيجب علينـا ان نجعل الاتراك يشعرون بانهم يستطيعون الدفـاع عن انفسهم من هجوم روسي مفـاجىء دون ان يلجئوا الى معونة الحكومة البريطانية .

فاقتنـع هتلر بذلك وهو يمني نفسه بأن مد تركيا بالسلاح

سيدفعهـــا في نهاية الامر للانضمام السافر الى معسكر المحور ، وفوضني الشروع بالمفاوضات الاولية ، وانتهت هذه المفـاوضات بزيارة الهر كلوديوس ، الخبير التجاري الالماني لانقره في صيف ١٩٤٢ ، وتوقيعه اتفاقية مع الاتراك تنص على ان نقدم لهم قرضاً بمائة مليون رنجسمارك، نحول لهم بها ما يحتاجون اليه من مختلف الاسلحة، على ان يسددوا هذا القرض بما يشحنونه لنا من بضائع وخاصة من مادة الكروم .

دهش البريطانيون لكوننا نحن الذين سنمد الاتراك بالسلاح، وكف زميلي السفير البريطاني عن القول بان المانيـا على وشك اجتياح الاراضي التركية.. وكانت خطوتنا الثانية ان سألت هتلر ان يأذن للجنة عسكرية تركية بزيارة الجبهة الشرقيـة .. فوافق وتألفت هذه اللجنة من صديقي القديم الكولونيل جنرال علي فؤاد اردن وعدد من هيئـة اركان حرب الجيش التركي ، وتوجهوا جميعهم الى الجبهة الروسية الجنوبية والقرم ، ثم قاموا بجولة استطلاع عند حائط الاطلنطي .

لقد اتضح لهتلر من الناحية العسكرية الا امل له في الوصول الى نتيجة حاسمة في جبهـــات القتال ضد القوات البريطانية ، والاميركية ، والروسية الموحدة .. اما الانتصارات المحليـة ، بما فيها الوصول الى موسكو ، والفولغـا لن تقوده الى النصر الاكيـد .. وعلى ذلك رجوت صديقي البارون لرسنر ان يقوم بزيارة الى الفاتيكان ويجس النبض فيما اذا كان البابا مستعد للتوسط

لدى الدول الغربية من اجل الصلح ، فاجابني بانه على غير وفاق مع الغستابو لاسبـاب عنصرية اذ ان في اسرته دماً يهودياً .. لكنني ذللت هذه العقبـة واجريت له الترتيبات اللازمة ليلتحق بي في تركيا بمثابة رئيس للجمعية الشرقية، وهي هيأة تألفت بقصد تقوية الصلات الثقافية والاقتصادية ما بين المانيـا وبلاد الشرق الاوسط .. وبعملي هذا قدمت للاميرال كاناريس عميلًا حكيماً له ماض دبلوماسي بارز .

وتوجه لرسنر الى الفاتيكان وتحدث الى رجـال لهم مـكانهتم ومنهم المونسنيور ماغيلوني ونائبه المونسنيور مونتيني ، فقالوا له بلسان واحد انهم لا يرون لدى الدول الغربية استعـداداً لقبول عرض الصلح .. فالروس يطالبون بفتـح جبهة ثانية ، والحديث عن الصلح مع الدول الغربية سيحمل الروس على عقد صلح منفرد مع هتلر .. وانتهى مسعاي الجديد الى الفشل .

وبينما كنت اسعى الى التقارب مع الدول الغربية ، كان الحزب النازي يتدخل تدخـلًا فعلياً في اعمـالي بانقره، ففي نوفمبر ١٩٣٩ سألت وزارة الخارجية الالمانية ان تضع حداً لنشاط مكتب بوهل (اوسلاندس) القائم في تركيا فهذا المكتب يرسل تقاريراً لربنتروب لا لزوم لها ، واحياناً تتعدى الاخباريات الى المسائل السياسية العامة، ولما منعت الحكومة التركية في اواخر تلك السنة كل نشاط سياسي للاجانب، عمدت بدوري الى منع اعضاء الحزب النازى في تركيا من القيام باي نشاط مهما كان نوعه باستثناء جمع

المعونة الشتوية .. ثم تلقيت من بوهل مجموعة برقيات احتجاج على قراري هذا وهي تنص على انه لا يحق لي كسفير لألمانيا ان امنع نشاط الحزب النازي في تركيا ، واستمرت هذه المشاحنات بيني وبين الحزب طويلاً .

وفي صيف ١٩٤٢ جاءني مستشار السفارة صباح يوم وقال لي ان اعضاء الحزب في انقره عقدوا اجتماعاً برئاسة فرايده الذي يشغل منصب المسؤول عن مشاكل الاقليات الالمانية في تركيا، وقد هاجمني فرايده هذا في الاجتماع وطالب باعدامي رمياً بالرصاص او بالقائي بين اسلاك المعتقلات .

فاستدعيت فرايده للحال وسألته فيما اذا كان قد تلفظ بمثل هذه العبارة في الاجتماع الحزبي.. فرد علي بالايجاب ، فامرته ان يترك منصبه في السفارة خلال اربع وعشرين ساعة ، ومنعته من دخولها او الاتصال باي شخص ممن لهم علاقة بالسفارة ، وعممت هذا الامر على جميع الموظفين .

الا ان فرايده الذي كان يقتني جهاز ارسال خاص ، قداسرع ووجه رسالة احتجاج الى بوهل وسأله اجراء تحقيق في الموضوع، ولم اكد اضع تقريراً لوبنتروب بما حدث حتى تلقيت منه تعليمات تنص على ضرورة اعادة فرايده الى منصبه وان اضع نفسي تحت تصرف لجنة تحقيق آتية الى انقره.. وجاءت لجنة التحقيق الحزبية ، وكان من حسن حظي ان يترأسها موظف الماني قديم، فقدم تقريراً ليس في مصلحة فرايده ، واستدعي هذا الى برلين .

وفي شهر يونيو ١٩٤٢ استولينا على سواستوبول وطبرق .. وبالرغم من فشل هتلر في تدعيم رومل ، وعجزه عن فهم اهمية الحملة الافريقية ، فقد واصل هـذا القـائد زحفه في اتجـاه قناة السويس الى ان توقف في العلمين ، فلو استطـاع الوصول الى دلتا النيل لجعل مفاوضات الصلح ممكنة جـداً .. حتى ان زملائي اليابانيين في انقره قالوا لي اكثر من مرة انه لا ينبغي على المانيا ان تنصرف الى حرب طويلة الامد في روسيا ، وانه لا بد من ايجـاد الوسائل التي تضمن الصلح ما بين الامتين.. وقد اعربت طوكيو رسمياً عن هذا الرأي ايضاً، لكن ربنتروب ابى الاصغاء اليها او اعارتها اى اهتمام .

وتوقف رومل عند ابواب القـاهرة حزيناً ، ويرجع السبب الاول في ذلك الى انعدام التناسق بين قوى المحور ، فالاسطول الايطالي ، وحاملات الجنود الايطـالية لم تركز كلها في خدمة رومل ، واليابانيون كانوا بعيدين جداً عن هذه المعركة الهامة ، ولما سألت كوريهارا سفير اليابان في انقره ، ان تنجدنا حكومته بقليل من الغواصات ، اجابني بابتسامة صارمة : اننـا بحاجة الى هذه الغواصات للدفاع عن انفسنا .

انني لم اعرف في التاريخ انحلالاً في ائتلاف حربي كالانحلال الذي اعتور دول المحور في الاهداف والوسائل .

***

لم تتح لنا الحوادث الفرص للترفيه الاجتماعي ، لكن توتو

الاعصاب المستمر كان يتطلب بعض الراحـة والاستجمام.. اما الطريقـة التي كنت اتبعهـا في الاستجمام فهي اصطيـاد البط في البحيرة القريبة من انقره ..

وخرجت يوماً في طلب البط، ووضعت في الماء بعض صغاره لتغوي غيرها على الهبوط الى جانبها، وجلست في سيارتي ارقبها، وفي هذه اللحظة سمعت صوت طلقتين شقتا المـاء امامي فانتصبتُ على عجل ورأيت شخصين يركضان في الجهة المقـــابلة للبحيرة، واظن انني عرفت احدهما وهو موظف في السفارة البريطانية في انقره فصرخت في اثرهما : عيب عليكما ان تطلقا النار على بطي الخاص.. ان انقره بعيدة عن الحرب بعـد ! .. ولحسن الطالع ان بط الصيد لم يصب بأذى .. ثم علمت من ملحق في السفارة الالمانية كان يصطاد قريباً مني ان المعتدي الثاني هو سفير اميركا في انقره المستر لورنس ستينهارت ! .. ويؤسفني جـداً انني لم التق بهذه الشخصية البارزة الا حين زارني وانا في سجن نورمبرغ، حيث لا مباحثات سياسية ولا ترتيب رحلات لاصطياد البط .. وانني في تدويني هذه القصة انفي تماماً ما قيل وقتئذٍ بانني اطلقت النار على السفير الاميركي وزميله البريطاني .

وبعد هذا الحادث بايام قلائـل توفي رئيس الوزارة التركية السيد رفيق سيدام، وخلفـه في الرئاسة السيد سراج اوغـلو، وتولى منيمنجي اوغلو وزارة الخارجيـــة، الذي اسرع والقى خطاباً اكد فيه عزم تركيا البقاء على الحياد .

وحل خريف ١٩٤٢ وحلت معه متاعب جديدة ، فالخسائر الالمانية في الجبهة الشرقية كانت فادحة ، وكان هتلر يصر على شن هجوم كاسح على ستالينغراد والقوقاس في وقت واحد ، وسرعان ما لمس الروس نقاط الضعف في هذا الخط الطويل ، فكانت اولى هجماتهم المضادة موجهة الى الفرق الايطالية فاخترقوا صفوفها ، وكان ذلك انذاراً ببدء معارك ستالينغراد الحاسمة .

وفي سبتمبر ١٩٤٢ استقليت الطائرة الى بودابست بدعوة من الاميرال هورتي فوجدته يبكي ابنه البكر الحبيب المقتول في شمال ستالينغراد، ويتأسى لحالة الفرق الهنغارية المقاتلة في تلك الجبهة ، فوعدته ان اعرض مشاعره هذه على هتلر والقيادة الالمانية .. وسافرت الى فينا لاعود ولدي الجريح للمرة الثانية ولكنني عدلت عن ذلك حين تلقيت برقية من ربنتروب يدعوني فيها للحضور الى برلين رأساً .. فالعلاقات بيني وبينه كانت متوترة وذلك اثر اصطدامي مع منظمات الحزب النازي في تركيا .

وفي اكتوبر ١٩٤٢ شن البريطانيون هجوماً مضاداً في العلمين واضطروا روميل الى التقهقر .. والعجيب ان رجال الدولة الاتراك تلقوا هذه الانباء بكثير من الفرح ، فالظاهر انهم لم يكونوا سعداء برؤية القوات الالمانية تطوق تركيا من الشمال والجنوب في آن واحد !..

وانتهت سنة ١٩٤٢ بسلسلة من الانكسارات في الجبهتين

الروسية وشمال افريقيا ، وانتقلت المبادرة لاول مرة الى ايدي العدو ، غير ان هتلر لم يقر علامة الشؤم هذه ، ولم يعترف بانها نقطة تحول في سير الحرب .

لقد تقرر مصير المانيا سنة ١٩٤٣ ، واتضح لافراد منا وليس للمسؤولين عن الحرب مباشرة ، اننا دخلنا في مأساة لا قدرة لنا على الحيلولة دونها .. وفي السابع من يناير ١٩٤٣ تحدثت الى منمنجي اوغلو وكانت آراؤنا متشابهة في الحالة العالمية .. ثم جاء تحطيم الجيش الالماني السادس في ستالينغراد مصداقاً لتنبؤاتنا .. واخذنا نفكر في الاثر الذي سيتركه انتصار الروس في ستالينغراد على الدول الغربية، وهل ستحول دون سيطرتهم على اوروبا .. اجل ، لقد اشغل هذا السؤال بال زملائي الاتراك ايضاً، وغدوا اكثر تحمساً لفكرة الحياد اكثر من اي وقت مضى ..

وحلت بتركيا في تلك الاثناء ضائقة مالية حملتها على مضاعفة الضرائب المفروضة على الاجانب المقيمين في تركيا وعلى املاكهم، وحاولت ان اخفف العبء عن بعض الشركات الالمانية بتقديم مساعدات مالية للاتراك مأخوذة من الخزينة الالمانية ، وقد حذا السفير البريطاني حذوي فنشأ عن ذلك حالة طريفة وهي ان الالمان والانكليز معاً يمدون الخزينة التركية بما تحتاج اليه من مال ! ..

وكان مؤتمر الدار البيضاء بين الرئيس روزفلت والمستر

تشرشل في الثالث والعشرين من يناير ١٩٤٣ ، واخـذنا نسمع لاول مرة ، عبارة « الاستسلام دون قيد او شرط » ، وعلمنا ان الرئيس روزفلت هو الذي اوحى بهذه الفكرة بقصد حث المحاربين على القتال وليس بقصد اهانة الالمان والحط من نفوسهم.. ومما عزز فينا هذا الاعتقاد ما بشر به ميثاق الاطلسي من ضمانات عادلة. وبعد اشهر تقدمت من الرئيس روزفلت مستفسراً المعنى من عبارة « التسليم دون قيد او شرط » ، وهل هي سلاح دعاية قابل للمناقشة !.. فأجبت بان للرئيس روزفلت من الحساسية السياسية ما يكفي لتقديره اثار الشرط المعروض.. فاقتنعت بهذا الجواب ، وكنت على خطأ في ذلك .

ولما كان المستر تشرشل في الدار البيضاء عقد النية على دعوة الاتراك مرة ثانية للدخول الى ميادين القتال ، واعرب عن رغبته في الاجتماع برئيس الجمهورية التركية وبرئيس وزرائه في جزيرة قبرص ، فاجابه السيد اينونو ان الدستور التركي لا يسمح له بمغادرة البلاد لكنه يرحب بقدوم المستر تشرشل الى انقره.. واخيراً تم الاتفاق بينهما على الاجتماع في مدينة اضنه ، وفي هذا الاجتماع قدم المستر تشرشل مذكرة للرئيس اينونو حذر فيها الاتراك من السياسة الالمانية التاريخية القائمة على شعار (درانغ ناخ اوستن) اي الزحف نحو الشرق ، وعرض عليه في حالة قبوله دخول الحرب خمسة وعشرين سرب طائرات انكليزية واميركية، لترابط في مطارات تنشأ خصيصاً وعلى عجل في مختلف الاقاليم

التركية .

وكان رد الجانب التركي على هذه الدعوة ان تركيا تهتم بمستقبل علاقاتها بروسيا اكثر من الاشتراك في القتال ، واضاف السيد سراج اوغلو على ذلك بقوله : اذا خرجت المانيا محطمة في هذه الحرب فان جميع البلاد المقهورة ستتبلشف حتماً.. وان تركيا لا تشعر بانها مهددة بخطر الماني .. اما المرشال تشاقماق رئيس اركان حرب الجيش التركي فقد قال للمستر تشرشل بان الجيش التركي غير مجهز التجهيز الكافي ليكون قوة فعالة الى جانب الحلفاء ، وتم الاتفاق بين الطرفين على تأليف لجنة عسكرية من الحلفاء لتدرس حاجات تركيا العسكرية وغير العسكرية .

ويقال بان الرئيس اينونو اغتنم فرصة الاجتماع بالمستر تشرشل وسأله ان يضع حداً للحرب لان تحطيم المانيا الكلي سيجعل من روسيا خطراً كبيراً على اوروبا ، وسأله ايضاً ان يقابلني ويتحدث اليّ في موضوع الصلح ، واصفاً اياي بانني امثل المدرسة الدبلوماسية التي تحكم العقل ، وانني اقبل لالمانيا صلحاً ولو كان فيه اجحاف لها ، غير ان المستر تشرشل اصم اذنيه عن سماع هذه الدعوة ، وكان يحس في قرارة نفسه انها نوع من الخيانة .

وكانت خطوتي التالية في معالجة مشكلة الصلح ، الخطاب الذي القيته في استنبول في ٢١ مارس ١٩٤٣ لمناسبة الاحتفال بذكرى الجنود الذين سقطوا في سبيل الوطن ، وكان لكارثة ستالينغراد ان

خلعت رداء قاتماً على هذه الذكرى ، وناشدت في خطابي العالم الغربي ان ينقذ اوروبا .. وطلبت من الدول الغربية ان تدرس من جديد تاريخ القارة الاوروبية لكي تدرك الدور التي تمثله المانيا فيها، ودعوت رجال الدولة البريطانيين والاميركيين لكي يحزموا امرهم لاعادة تنظيم اوروبا بحيث تستطيع كل امة اوروبية ان تخدم الحرية والتقدم .. ولما كنت اعتقد بان المبادرة في هذا الاتجاه ستأتي من جانب الرئيس روزفلت ، فقد اخذت امتدح اقوال الكثير من رجال الدولة الاميركيين وما قدموه للانسانية من خدمات .

وسافرت الى برلين في اواسط شهر ابريل ١٩٤٣ ، ووجدت ربنتروب بانتظاري لنذهب معاً الى قيادة هتلر العامة في بروسيا الشرقية، وكنا ونحن نقطع الطريق بقطار هتلر الخاص نتحدث عن الحالة الحربية التي نشأت اثر كارثة ستالينغراد ، وفي رأيه ان مسببي هذه الكارثة هم حفنة من الجنرالات وغيرهم من « العصابة البرجوازية » ، فلو تمكنا من تطهير الجيش منهم في الوقت المناسب لما واجهنا هذا الوضع الاليم ، وعلى كل لم نضع الوقت بعد ، وعلينا ان نسحقهم دون شفقة .. علينا ان نستأصل « شراذم البرجوازية » ، وكلما اسرعنا في هذه العملية كان الخير لنا .. وهكذا اتضح لي تماماً الا فائدة ترجى من النظام النازي للجيل الالماني الطالع .

كان مقر هتلر في بروسيا الشرقية، ويطلق عليه «جحر الذئب»،

وهو مبني في غابة صنوبر كثيفة الاشجار تقـــع بالقرب من راستنبورغ ، وكانت غرف الحجر مبنية من الاسمنت المسلح ، اما الجناح الخاص بهتلر فقـد تميز عن غيره من الاقسام بوجود غرفة خاصة به وحولها بعض المكاتب ، وغرفة لتناول الطعام ، وكان لهذا الجناح نوافذ صغيرة جداً تسترها اغصان الاشجار ، ولذا كان معتماً خانقـــاً مما اضطر القيادة الى اضاءته ليل نهار ، لكن المرء يحس فيه وكأنه في مستنقع.. اما المنطقة المحيطة بمقر هتـلر هذا فكانت مطوقة بثلاثة حواجز من الاسلاك الشائكة وعلى الداخل الى المقر ان يجتاز ممراً خاصاً تواكبه ثلة من الحرس المسلح .

وتباحثت مع هتلر في حالة الجبهـــة فوجدته لا يختلف في ارائه عن ربنتروب وعدت الى برلين وكانت الحالة النفسية فيها قد هبطت الى الصفر، وتقابلت مع شخصيتين من الحزب النازي منحدرتين من صلب ارستقراطي ، وهما الكونت هلدورف ، رئيس شرطة العاصمة، والكونت غوتفريد بسمارك حاكم بوتسدام، فاعربا لي عن سخطهـما على هتلر وحاشيتـــه ، ووصفا لي حالة السجون المريعة التي تعج بالمعتقلين المهددين بالموت في كل حين ، كما وصفـا لي اعمال « المحاكم الشعبية » التي تصدر احكاماً قاطعة بالمفرد والجملة .. فهزتني هذه الانباء وادركت منهـا ان المانيا لا تعاني حالة يائسة في جبهـــات القتال فحسب وانما في الجبهة الداخلية ايضاً .

وتناولت الغداء مرة مع غوتفريد بسمارك في نادي الاتحاد ثم انتقلنا الى غرفة خاصة وافادني ان هناك جماعة صغيرة يرأسها رئيس حرب سابق هو الكولونيل جنرال بيك ، وقد عقدت هذه الجماعة النية على ازالة هتلر من الوجود .. لكنها حريصة جداً الا يؤول هذا العمل الى نشوب ثورة داخلية تؤثر على الحالة في جبهة القتال ، ولذا فهي تفضل عدم اغتيال هتلر وانما اخذه اسيراً واحالته الى المحاكمة .. وقد وقع الاختيار على ضابط من فرقة الفرسان يدعى فرايهر فون بويسلجران يطوق مقر هتلر بقوة من الفرسان ، وان يلقي القبض عليه وعلى هملر وبورمان معاً .. غير ان الجماعة لا تريد ان تخطو هذه الخطوة قبل ان تعرف مسلك الدول الغربية من المانيا التي تخلصت من زعامة هتلر والتي تريد صلحاً عادلاً .. وسألني الكونت غوتفريد فيما اذا كنت على استعداد لمفاوضة الحلفاء بهذا الشأن ؟..

لقد تعرفت في زيارتي هذه لبرلين ولأول مرة بحركة المقاومة السرية داخل المانيا نفسها وادركت ما عليّ ان افعله من اجل مصير المانيا ، واوربا ؛ انني لا اجد مبرراً للقتل السياسي ، فالقتل مهما اختلفت انواعه يظل قتلًا .. وعلى ذلك فان اعتقال هتلر وتقديمه للمحاكمة لهو افضل من طعنه في ظهره .. لكن تغيير النظام في وقت عصيب تجتازه البلاد هو مخاطرة اكيدة ، ولا يجوز الاقدام عليه قبل الحصول على ضمانات من الاعداء بصدد مستقبل المانيا .. والشيء الاول الذي اردنا الاطمئنان اليه هو

تخليهم عن طلب « الاستسلام دون قيد او شرط » .

فوعدت « المتآمرين » ان اتصل بالرئيس روزفلت حال عودتي الى انقره ، واتفقنا ان يكون الهر تروت زو - زولس الموظف في وزارة الخارجية وسيطاً فيما بيننا ، وهو بطبيعة عمله يكثر الحضور الى انقره ، وما ان وطأت قدماي العاصمة التركية حتى سألت صديقي لوسنر ان يتصل على عجل بالمستر جورج ايرل ممثل الرئيس روزفلت الخاص في تركيا ، وان يهيء معه اسباب المفاوضة .

وعلمت في تلك الاثناء ان الكردينال سبلمان، رئيس مطارنة نيويورك، سيزور تركيا قريباً ، ونصحني زملائي الاتراك مباحثته في موضوع الصلح ، ولما جاء الى تركيا حصر نشاطه في اقناع الحكومة التركية للترحيب باللاجئين اليهود الفارين من اوروبا ، ولم ارَ من المناسب مفاوضته في امر « المؤامرة » ، كما انني لم اصل الى نتيجة بصدد الاتصال بالمستر ايرل .

لقد تطورت الحالة الحربية من سيء الى أسوأ، ففي السابع ، من مايو ١٩٤٣ استسلم في تونس صديقي القديم في الحرب العالمية الاولى الكولونيل فون ارنيم.. واشتدت وطأت غارات الحلفاء الجوية على المدن الالمانية بشكل لم نتصوره قط .. اما اسرانا الالمان في الجبهة الشرقية وعددهم هائل فلم نعرف عنهم شيئاً .. وحدث بالمصادفة ان ممثل الصليب الاحمر السويسري في انقرة قد تلقى اربعمائة بطاقة بريد من اسرى الجبهة الشرقية وسيرسلها

الى المانيا ، فرجوته ان يعطيني قائمة باسماء مرسلي هذه البطاقات لاحولها الى الحكومة ، ووجدت بينهـا اسم ابن صاحب مكتبة صغيرة في بلدتنا (ويرل) فاسرعت وارسلت لابيه كتاباً خاصاً اشعره فيه بان ابنه لا يزال على قيد الحياة .

وكان لهذه الرسالة نتائج بعيدة الاثر فقد اشيع في المانيا ان لديّ قائمة باسماء اسرى الحرب ، وراحت تنهــال عليّ آلاف الرسائل والبرقيات التي يستفسر اصحابها فيها عن ابنائهم ، ولما احيط هتلر علمــاً بحكاية هذه الرسائل اصدر امره بعـدم تسليم بطاقات بريد اسرى الحرب الى ذويها ، بما فيها الاربعمائة بطاقة ، لانه خشي ان يدرك الالمـان منها ان الروس يعاملون اسرى الالمان معاملة انسانية ، فتتفشى روح الهزيمة بين الجنود ، ويزداد عدد الفارين منهم.. فأرسلت احتجاجاً على هذه الاجراءات غير الانسانية، لكنني تلقيت امراً من ربنتروب يسألني فيه ان اكف عن الاهتمام بالاسرى الالمان.. لكنني لم اصغ ِ الى امره هذا ، وصرت ابحث عن الاسرى بواسطة الصليب الاحمر، واستكتبهم، وبقيت اتابع هذا العمل الى ان انقطعت العلاقات الدبلوماسية ما بين تركيا والمانيا .

وفي ٢٨ اغسطس ١٩٤٣ مات عاهل بلغـاريا الملك بوريس فجأة وهو في صوفيا عاصمة ملكه، وكان موته هذا غامضاً عجيباً ففقدته البلاد وهو الملك العاقل ، ولا اشك بان الحلفاء ارادوا التخلص منه منذ امد طويل ، مع ان دعايتهم حـاولت القــاء

مسؤولية موته الغامض على عاتق النازيين .

وتقول زوجته الملكة جيوفانا في تفسير موته انه استقل طائرة من برختسغادن الى صوفيا ، وقد تلقى الطيار امراً من هتلر ان يرتفع بالملك بالطائرة عموديا على ارتفاع ثلاثين الف قدم ثم الغوص به الى اسفل دفعة واحدة .. فنتج عن ذلك تمزيق بعض اعضائه الداخلية .. وقد اكد الوصي على العرش البلغاري الامير سيريل هذا الرأي فيما بعد ، وفسر السبب في تخلص هتلر من بوريس لرفضه اعلان الحرب على الاتحاد السوفياتي .

وواقع الامر كمابينه الطبيب ساوربروخ ، والطبيب النمساوي الشهير ابينجر ان الملك مات مسموماً .. وان زوجه الايطالية هي التي وضعت له السم في الطعام لمعارضتها اياه في سياسته المحورية .. والدليل على ذلك ان هتلر لما علم بموت بوريس الغامض طلب من وزيره المفوض في صوفيا الهربيكيرل ان يعتقل الملكة وولي العهد ويسلمهما لرجال الحرس الاسود في برلين لكن الملحق العسكري الالماني في صوفيا الجنرال فون شوينبك قد بذل مجهوداً خاصاً للحيلولة دون تنفيذ امر هتلر في هذا الشأن .

وفي الثامن من سبتمبر ١٩٤٣ استسلمت ايطاليا ، واعقب ذلك احتلال البريطانيين لجزر الدوديكانيز ، وساموس ، وقوس وليدوس ، لكي يقنعوا الاتراك بضرورة خوض غمار الحرب ضد المانيا ، فاسرع الطيران الالماني واوقف كل حركة لتموين الجزر المحتلة مما ارغم البريطانيين للجلاء عنها .. وقد تبين للاتراك ان الطائرات

الالمانية التي لعبت هـذا الدور بوسعها ضرب ازمـير واستنبول بالقنابل في اي وقت تريده ، ولـما كان للضغط النفساني اثره في تقرير مصير الاتراك فقد عمد الحلفاء في مؤتمرهم المنعقد في موسكو في اكتوبر ١٩٤٣ الى دعوة الاتراك للاعتبار بما حـل بايطاليا ، فرد عليهم الالمـان بتحرير موسوليني من اسره بغية وضعه عـلى رأس حكومة فاشستية في شمال ايطاليا .

ومن الطرائف التي حدثت في تلك الايام ان جاء الى انقره شخصان بارزان من اعضاء الحزب النازي، فقد عينهما هتلر حاكمين على ارمينيا وازبيجان وكانت مهمتهما في تركيا دراسة هاتين الجمهوريتين السوفياتيتين من الناحيتين القوميـة والاقتصادية .. وقد سألني احدهما مرة : ما الراتب الذي يتقاضاه نائب الملك في الهند ؟.. ولما استفسرت عن القصد من هذا السؤال، اجابني بانه يود تقدير الدخل اللازم جبايته من السكان للمحافظة على مركزه كممثل لهتلر في ارمينيا ! ..

ولم يهدأ لي بال حتى اتخذت مع برلين الترتيبـات الضرورية لاعادة هذين الحاكمين الى المانيا .

وحدث لي في تلك الاثنـــاء ايضاً حادثاً غامضاً لا اجد له تفسيراً حتى ساعة كتابة مذكراتي هذه ، فقد اتصل بي الهر بوست مدير مصرف الشرق في تركيا وافادني ان شخصاً غامض الجانب يريد مقابلتي وهو موفد بمهمة فوق العادة ، وقد قدمه له المهاجر الروسي البروفسور روستوف .. فترددت في استقبـاله

لكنني لما كنت انتظر نتيجـة مساعي المستر ايرل وافقت على مقابلتـــه في السفارة ، وزارني هذا الشخص وقدم لي نفسه بانه مواطن امريكي يحمل جواز سفر برتغـــالي ! .. اوفده الرئيس روزفلت ليفاوضني في شروط الصلح ، وعرض عليّ شريطاً دقيق التصوير يقول لي فيـــه روزفلت انه يوافق على تلطيف شروط الاستسلام على ان اسلم هتلر الى الحلفاء باية طريقة كانت .. ويعدني بابقـاء اوكرانيا تحت الحكم الالماني ! .. فقلت لهذا الرسول : اريد رسالة خطية من روزفلت بهذا المعنى.. فاجاب : هذا عمل صعب ويتعذر تحقيقه لما ينجم عنه من مخاطر ، ولكن بوسعي ان اسافر معه الى القـاهرة لمقابلة روزفلت رأساً !.. فاجبته : ان وجودي في القاهرة يفقدني صفاتي الرسمية.. فوافق على ان يراجع الرئيس في وجهة نظري ، وان يعود اليّ في فرصة قريبة .

ولم ار هذا الرجل فيما بعد ، وربما كان موفداً من جانب ثالث.. وظل التسليم دون قيد او شرط القاعدة الوحيدة للصلح .

القسم الخامس

منيمنجى اوغلو يزور ايدن فى القاهرة - تزايد الضغط الحليف - حالة المانيا العسكرية اليائسة - غارات جوية على برلين - مقابلة مع هورثى - « عملية شيشيرو » - فشل مشاريع الحلفاء فى البلقان - غداء مع لافال - نجاح « عملية اوفرلورد » - لم الهرب بجلدى .

عملية شيشيرو

كان للقرار الذي اتخذه وزراء خارجية دول الحلفاء في مؤتمر موسكو المنعقد في نهاية سنة ١٩٤٣ ، والذي ينص على اجتذاب تركيا الى ميدان القتال ، ان وجهت الحكومة البريطانية دعوة للسيد منيمنجي اوغلو للاجتماع بالمستر انطوني ايدن في القاهرة.. فقام وزير الخارجية التركية بهذه الرحلة واستمع الى المستر ايدن وهو يبذل كل مجهود لاقناعه بضرورة خوض تركيا غمار الحرب، فرد عليه الوزير التركي بان تركيا لا تميل للتدخل في الخلاف بين الدول الكبرى الساعة الحادية عشرة !.. اي والحرب على ابواب نهايتها .. وذكّر المستر ايدن بالاشمئزاز العام الذي داخل النفوس من جراء تدخل موسوليني في الحرب ضد فرنسا سنة ١٩٤٠ .. ثم اصر بان تظل تركيا في حالة دخولها الحرب مستقلة سياسياً وعسكرياً ، وان تقوم بمهام حربية خاصة تميزها عن غيرها من الدول المتحاربة . واتفق الطرفان على ان تقدم الحكومة التركية للحلفاء رداً رسمياً في اسرع وقت ممكن، فاذا كان الرد ايجاباً تستأنف المباحثات ، واذا كان سلباً تهمل، وينتج عن ذلك قيام حالة خطيرة بين بريطانيا وتركيا .

وقدمتُ تقريراً بهذا الصدد في حينه قلت فيه :

« استقبلت السيد منيممنجي اوغلو واطلعني على الوضع الخطير الذي تواجهه تركيا .. وما ان عاد من القاهرة حتى قطع السفير البريطاني صلاته بالاتراك ، وكف عن دعوته اياهم الى منزله ، وقد عقد النية على نقل السفارة من انقره الى استنبول ، ليدلل على ان النظام الذي اقامه كمال اتاتورك قد انتهى امره رسمياً .. ثم وجه السفير البريطاني الى الحكومة التركية انذاراً بضرورة قطع العلاقات التجارية بين تركيا ودول المحور . وكان رد وزير خارجية تركيا على هذا الانذار البريطاني المؤيَّد من الحلفاء ، ان تركيا لا تتخلى عن استقلالها التجاري وانها ستواصل القيام بالتزاماتها في هذا الحقل .

وافادني الوزير التركي بان الحلفاء يضغطون على تركيا ليحرموها من بعض المواد الخام مثل المطاط ، والنسيج ، والبترول .. واضاف قائلاً بانه سيبذل المستحيل لابقاء تركيا على الحياد ، لكنه غير مستعد لان يترك الحالة تصل الى درجة قطع العلاقات بين تركيا وبريطانيا . فاذا ما هُددت تركيا في اقتصادياتها فانها ستعلن الحرب على المحور » .

وعلى ذلك اصبحنا نواجه قيام حالة حرب مع تركيا بتأثير الضغط البريطاني السياسي والاقتصادي .. وكان علي ان استقل الطائرة الى برلين فوراً .

وقدمت لهتلر في قيادته العامة تقريراً وافياً عن الحالة في

تركيا مع معلومات سرية ذات قيمة عظيمة سأرجع الى ذكرها فيما بعد .. لقد لمست في هذه الزيارة الشعور بالتشاؤم ، وقلة الثقة بهتلر في تسيير دفة الحرب .. ولما عرضت عليه فكرة وضع حد لهـا ضحك عالياً .. وادركت من خلال ضحكة هذا الرجل الابادي الا مفر من تدمير مدننا وقتل الالاف من سكانها الابرياء .

وفي برلين اختبرت بنفسي احوال الغارات الجوية .. ولما كانت احداها تمطرنا بوابل من القنابل قبعت انا وابني وبناتي في غرفة بيتنا الارضية .. فكل شيء من حولنا قد صار الى انقاض واما بيتنا بالذات فقد طـار سقفه ، وتحطمت ابوابه ونوافذه واصبح غير صالح للسكن ، فهرعت مع اولادي الى اوتيـل اسبلاند القريب من دارنا ، وكان هـذا الاوتيل البناية الوحيدة التي سلمت من التدمير وسط حرائق هائلة تتأجج هنا وهناك .

وتبين لي في صباح اليوم التالي ان شارع ولهلم شتراسة باسره بما في ذلك دار بلدية برلين ، ووزارة الخارجية قد اصبحت كلها اركاماً من الخرائب .. امـا محطات السكك الحديدية فقـد تضررت كثيراً ولم يكن بمقدور احد ان يقول لي كيف سأعود الى مقر عملي بعد ظهر ذلك اليوم .. وانتظرنا على رصيف المحطة الساعات العديدة، وفي المساء دوّت الزاعقات مشعرات بغـارة جديدة .. وبينما كانت القنابـل تتساقط على العاصمة دخل المحطة قطار باعجوبة ، وخرجنا فيه باعجوبة ايضا .

وتلقيت وانا في طريقي الى تركيا دعوة من الوصي على العرش الاميرال هورتي لزيارة بودابست، فلبيتها وذهبنا معاً الى مزرعة ميزد هيجيس الشهيرة، وهناك التقينا باعضاء وزارته الذين جاؤها للصيد، فاطلعني وزير الداخلية المسيو فيشر على وثيقة مثيرة للدهشة، هي نص محضر جلسة عقدت فيما بين مندوب الحزب النازي الالماني وجماعة من الهنغاريين، وقد تم الاتفاق فيما بينهم على تجزئة هنغاريا الى مقاطعات، والحاقها بالدولة الالمانية .

وعقب الاميرال هورتي واعضاء وزارته على هذه الوثيقة باحتجاج شديد اللهجة .. وقال لي الوصي على العرش انه لا يعتقد بامكانية كسب الحرب، وانه ينوي الاتصال بالحلفاء باية وسيلة كانت.. وكان الاميرال هورتي على حق في ثورته هذه، ولما نبهت هتلر الى خطورة الوثيقة المذكورة، اوفد الى بودابست وزيراً مفوضاً يدعى ويسماير، وهو من ابرز الدساسين النازيين .

* * *

كنت اشرت الى معلومات سرية ذات قيمة عظيمة قدمتها لهتلر، وهي التي اطلق عليها فيما بعد اسم (عملية شيشيرو)، وقد ذكر الملحق التجاري الالماني السابق مويزيش تفصيلات هذه العملية في كتابه (عملية شيشيرو) الصادر في لندن سنة ١٩٥٠ .

ففي البدء عارضت في نشر هذه القصة لانني اردت الا ازعج زميلي السفير البريطاني في انقرة .. الذي كانت تربط اسرتي

واسرته ذكريات.. كنا في وقت مضى في بكين عاصمة الصين.. وكان السير هيجيسون هناك ايضاً ، فقامت بين ولدي واسرة السفير علاقات صداقة ، ولما زارني ولدي في انقره وهو عائد من الارجنتين الى المانيا ، التقى بالسفير البريطاني فدعاه هذا الى مقابلة رسمية وتحدث اليه كما يتحدث الصديق الى صديقه.. فتأثرت لهذا اللطف الذي ابداه السفير البريطاني نحو ولدي ، كان بودي ان اقدم له امتناني على ذلك اللطف ، ولو في وقت متأخر ، باخفاء معالم مخطوطات « شيشيرو ».. واخيراً وافق مويزيش على تحويل هذه المخطوطات اليّ قبل نشرها ، فتأكدت من صحتها وذكرت في مقدمة الطبعة الانكليزية انني سأعلق على (عملية شيشرو) في الوقت المناسب .

لقد بدأت هذه العملية في جو محاط بالالغاز.. ففي ذات يوم جاءني الهر جينكه ، وهو احد سكرتيريّ الاثنين وافادني ان الخادم الذي عمل عندنا فيما مضى قد حدثه بالتلفون عارضاً عليه معلومات هامة.. وكان جينكه هذا اخو زوجة ربنتروب وقد اقام في تركيا سنوات عديدة تعاطى خلالها الاعمال التجارية .. اما الخادم الذي حدثني عنه فاسمه المستعار ديلو اما اسمه الحقيقي فهو الياس.. وقد ابيت في بادىء الامر ان يكون لي أي اتصال بديلو هذا لان الجاسوس الذي يعرض خدماته بالتلفون لا يؤخذ بعين الجد!.. وألحّ ديلو طالباً سرعة الاتصال فاصدرت تعليمات لملحقنا التجاري مويزيش ان يتولى الاتصال به ويستمع الى معلوماته .

كان موزيش ملحقاً تجارياً في السفارة الالمانية من حيث الوظيفة الرسمية ، اما من حيث الواقع فهو ممثل الغستابو الاول في تركيا ، وربما يتساءل احدهم كيف صار تعيين هذا الرجل في سفارتي في حين اني طلبت باصرار ألا يتدخل الغستابو في شؤوني، والجواب على ذلك ان الحرب قد وقعت وتوسعت شقتها واصبح من العسير عليّ ان اقاوم مقتضيات الخدمة السرية !.. ولهذا السبب افسحت المجال لممثل الغستابو بالعمل في الاراضي التركية.. ووضعته تحت اشرافي المباشر .. غير انني لم اطلع على تقاريره ولم اهتم بها ، كما انه لم يتدخل في شؤون السفارة الدبلوماسية .

فلو اعرت ديلو اية عناية منذ البدء لحولته الى رجال منظمة (ابوير) التابعين للملحق العسكري في السفارة لكي يحققوا في ادعاءاته ، لكنني كنت اعتبره « جاسوساً مستفزاً » ولهذا فضلت ان تكون صلته بالغستابو مباشرة وليس برجال (ابوير) .

لن انسى ابداً ذلك الصباح الذي جاءني فيه مويزيش عارضاً عليّ النموذج الاول من اعمال شيشيرو.. لقد عمل مويزيش الليل كله في تصوير مواد حملها اليه المخبر، ثم جاءني صباحاً ممتقع الوجه ، غير حليق ، ووضع على مكتبي فلماً مطوياً.. فسألته : ماذا يتضمن هذا الفلم يا ترى ؟.. فهز مويزيش كتفيه لان معرفته باللغة الانكليزية كانت غير كافية لتمكنه من تقدير قيمة مضمونه .. فتناولت اول صورة وتفحصتها وأخذتني الدهشة وصرخت : « يا للسماء يا مويزيش .. ارجو ألا يكون في سفارتنا من ينقل

مثل هذه الصور الى الاعداء !..

كان الفيلم صورة برقية مرسلة من وزارة الخارجية البريطانية الى السفير البريطاني في انقره .. فشكل البرقية ، ومحتوياتها ، وتعابيرها ، لم تترك ادنى شك في صحتها ، وهي تتضمن سلسلة من ردود المسترايدن على اسئلة السير هوجيسون الخاصة بالسياسة البريطانية في تركيا .. ومنذ ذلك الحين اطلقت على مخبرنا النبيه اسم (شيشرو) وكان اسماً سعيداً .

وحين ادرك كالتنبرونر ، رئيس مويزيش، اهمية هذا المصدر السري في تزويدنا بالانبـاء ادعى بان له مليء الحـق باستـــلام المعلومات من مويزيش مباشرة وان يرسلها هو الى برلين من غير ان اطلع عليها ، ولمـا بلغني هـذا الامر قلت لمويزيش : « اخبر رؤساءك بانني لا اطيق مثل هذه الاجراءات مـــا دمت سفيراً لالمانيا في تركيا .. وانت خاضع لي واطلب منـك ان تطلعني على كل الوثائق التي تقع في يديـك دون تأخير » .. وكانت غايتي من ذلك ان استغل تلك الوثائق في انجاز مشاريعي السياسية، وعقدت النية على متابعة الاطلاع على جميع الوثائق التي ينقلها لنا شيشيرو حتى ولو ايد ربنتروب كالتنبرونر في مطلبه .

ولمـا قرأت مؤلف مويزيش للمرة الاولى ، الذي اثبت فيه نصوص البرقيات البريطانية المتعلقة بضرب صوفيا بالقنابل ، تبين لي ان مويزيش لم يحول لي وقتئذ كل مـــا وصل الى يديه من برقيات وانما كان ينقلها الى كالتنبرونر مباشرة .



فون بابن يدافع عن نفسه امام قضاة نورمبرغ

ويشير مويزيش في كتابه الى ان اخباريات (شيشيرو) كانت تذاع بين الاعداء بطرق غامضة ، وارى من واجبي الآن ان اميط اللثام عن هذا الامر.. لقد كانت معظم البرقيات البريطانية تتضمن اخباراً تضطرني لمقابلة السيد منيمنجي اوغلو ، وجاء في احداها احتمال وضع اجهزة الرادار في مدينة تراس التركية لكي تهدي الطائرات الحليفة في هجومها على ابار البترول الرومانية .. وعلى ذلك قدمت للرئيس التركي احتجاجاً شديداً بصدد هذه الاجهزة ، ذاكراً انني عرفت هذا السر من بعض المحايدين الذين عرفوه بدورهم من الملحق الجوي البريطاني او من احد موظفي السفارة البريطانية !.. ولفت نظره الى خطورة الموضوع والى امكانية قيام الالمان برد زجري كضرب استنبول نفسها بالقنابل ، وقد ذهل السيد منيمنجي اوغلو لسعة اطلاعي في هـذه الشؤون السرية وابلغ السفير البريطاني حديثي اليه بحذافيره .

وفي اليوم التالي كانت على مكتبي صورة برقية من السفير البريطاني الى المستر ايدن يقول فيها : « ان بابن يعرف من امرنا اكثر مما يلزمه ! .» ، ولما اطلع ربنتروب عل هذه البرقية استنتج منها ان مزودنا بالاخبار قد افتضح امره ، فأرسلت اليه اطمئنه بان تدخلاتي الدبلوماسية ، دفعت السير هيجيسون الى كتابة تلك البرقيـة ولا خطر على المخبر كلية ، ولو ان الاستفادة من الانباء السرية يترتب عليها دائماً بعض الاخطار ! ..

كانت « عملية شيشيرو » تجري في نطـــاق سري شديد ولا

يعرف بها الا جينكه ، وهو كما ذكرت أحد سكرتيريّ المؤتمن عليهم ، اما الملحق العسكري وجماعته من رجال (ابوير) فكانوا يجهلون ما يجري في طي الخفاء .. وحدث يوماً ان جاءتني الفراولين روز سكرتيرتي الخاصة وهي في حالة ذعر شديد وطلبت مني اعفاءها من وظيفتها .. ولما استفسرت منهـا عن السبب في ذلك افادتني ان اوراقاً سُرقت منها ، وهذا يعني انني سافقد ثقتي بها .. فهدأت من روعها ولما حققت في الامر تبين لي ان سكرتير مويزيش بالذات وهو من رجال الغستابو المعتمد عليهم قد التحق بالخدمة السرية البريطانية .

وعليّ بهذه المناسبة ان ادحض تماماً ما ذكره مويزيش في كتابه من اننا لم نحصل على فوائد عملية من المعلومات التي كان شيشيرو يمدنا بها، والواقع اننا استحصلنا بواسطة هذا العميل على معلومات لا تثمن فيما يتعلق باجتماع وزراء الخارجية المنعقد في موسكو ، وبمؤتمري طهران والقاهرة ، بل وفي كل الامور الهامة الحاصلة حتى شهر فبراير ١٩٤٤ .. فلقد كنت على علم تام بمقررات اجتماع موسكو القائلة بارغام تركيا على اعلانها الحرب ضد المحور في نهاية ١٩٤٣ ، وأُبلغ السير هيجسيون هذا القرار ببرقية رقمها ١٥٩٤ مؤرخة في ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ ، واجاب عليها ببرقية رقمها ٨٧٥ ، جاء فيها ما يلي : « اكد لي السيد منيمنجي اوغلو ان الحكومة التركية ستكون مستعدة للاشتراك في العمليات الحربية اثر فتح الجبهة الثانية في الغرب مباشرة » .

واطلعنا شيشرو على المحادثات الجارية بين الرئيس التركي والمستر تشرشل والرئيس روزفلت في القاهرة ، وعلى الطريقة التي عالج بها الاتراك الضغط المتزايد عليهم للدخول في الحرب .

وبعد ان عقد الاجتماع بين روزفلت وتشرشل وستالين في طهران في مستهل ديسمبر ١٩٤٣، وجه السفير البريطاني في انقره دعوة الى الرئيس التركي لحضور اجتماع هام في القاهرة ، فاجابه الرئيس اينونو انه يرفض الدعوة اذا كان القصد منها ابلاغه قرارات مؤتمر طهران ، لكنه يقبلها اذا كان القصد منها اتاحة الفرصة لتركيا ان تبحث الحالة العامة مع ممثلي الحلفاء بحرية تامة فاعطاه السفير البريطاني التأكيدات اللازمة ، وغادر الرئيس انقره في الثالث من ديسمبر ١٩٤٣ مصطحباً معه السيد منمنجي اوغلو ومستشاريه وكرروا ما قالوه اكثر من مرة من انهم لم يأتوا الى القاهرة ليكونوا ادوات لعبة شطرنج في ايدي العسكريين من الحلفاء ، واعربوا عن تخوفهم من تسخير مطاراتهم وموانئهم للحلفاء ، وتعريضها للغارات الجوية الالمانية ، وعن ارتيابهم في تخويل القوات التركية دوراً خاصاً في العمليات الحربية ، كما اعربوا عن قلقهم بصدد اعتزام روسيا اعلان الحرب على بلغاريا حالما تنضم تركيا الى الحلفاء !..

وبعد مفاوضات طويلة وشاقة حاول الحلفاء فيها تبديد مخاوف الاتراك ، تقرر ان تحدد تركيا موقفها في وقت غير متأخر عن شهر ديسمبر ١٩٤٣ لان الحلفاء غير مستعدين لتعطيل عملياتهم

الحربية ، واعلن الجانب الحليف عن استعداده لتقديم كل ما تحتاج اليه تركيا من ادوات الحرب ، في حين تذهب هي الى اعداد مطاراتها لاستقبال اسراب الطائرات المقاتلة الحليفة .

وكتب السير هيجيسون في مذكراته (الدبلوماسي في السلم والحرب) الصادر في لندن ١٩٤٩ يقول بصدد الموقف التركي : « لم نتوقع من الاتراك ان يشتركوا في القتال الفعلي حتى ولو قدموا لنا مطاراتهم ؛ ثم ان هيأة اركان الحرب التركية كانت تعلم ايضاً انه يستحيل عليها تقديم مطاراتها دون اعلان الحرب رسمياً ، وتحمل كل ما ينتج عنها من تبعات .. وفي رأيي انه لا يحق لنا ان نعتب على الاتراك لانهم كانوا يجيبونا دائماً بالسلب » .. هذا ما يقوله السفير البريطاني الآن وهو يتناقض تماماً مع نصوص برقيات (شيشيرو) التي كان يدعو السفير فيها الى قطع العلاقات الدبلوماسية مع تركيا لانها تتردد في زج نفسها في ميادين القتال .

واحيط الاتراك علماً بان الحلفاء ينوون في سنة ١٩٤٤ القيام بعمليات حربية ضد الالمان في البلقان ، والنزول الى البر في سالونيك ، وهذه الخطط الجديدة تتطلب منهم ان يعدوا بعض المطارات في ازمير في وقت غير متأخر عن ١٥ فبراير ١٩٤٤ لاستقبال القاذفات والمقاتلات التي ستحمي عملية نزول القوات الحليفة في بر سالونيك .

واتضح لنا من برقيات شيشيرو ان مؤتمر الكبار الثلاثة

المنعقد في طهران تناول بالبحث موضوع « الاستسلام دون قيد او شرط ».. وقد اختلفت الاراء في هـذا الطلب فتشرشل وستالين اعتبراه طلباً مثيراً يدفع الالمان للقتال حتى النفس الاخير، غير ان روزفلت اصر عليه، ثم اضطر الى اصدار تصريح في ٢٤ ديسمبر ١٩٤٣ هدأ من روع هتلر وقد جاء فيه : « اننا نريد للالمان ان يعيشوا في امان وسلم مفيدين محترمين بين اعضاء الاسرة الاوروبية » .. ويبدو ان تصريح روزفلت هـذا هو الذي دفع هملر لان يسأل وزير السويد المفوض في لندن لان يكون وسيطاً في مفاوضات الاستسلام .

وتناول الخلاف في مؤتمر طهران مواضيع اخرى غير موضوع استسلام المانيا ، تناول كيفية الشروع في الهجوم على اوروبا ، فقد طالب تشرشل بعناد ان يبدأ الهجوم على البلقان من جهتي سالونيك وبحر الادرياتيكي فرُفض طلبه واستبدل ببدء الهجوم من شمال فرنسا ، ثم تقرر ان تكون الخطوة الحربية الثانية بالهجوم عبر سالونيك والقنال الانكليزي معاً، وقد اطلق الحلفاء على هذه العملية اسم « عملية اوفر لورد » .. وكان الهدف الذي يرمي اليه تشرشل منها تحرير شعوب البلقان من السيادة الالمانية ، والحيلولة دون وقوع تلك الشعوب تحت سيطرة الروس .. في حين كان ستالين يعتبر قضية تحرير البلقان من واجباته فقط .

انني لم اتلق على برقيات شيشيرو الخطيرة هذه اية تعليمات ، او ايضاحات، ولم يستشرني هتلر او ربنتروب بالخطوات الواجب

علينا اتباعها، وكان في رأيي ان هجوم الحلفاء على البلقان لن يسرع في تقصير امد الحرب بسبب وعورة تلك البلاد الجبليـة ، فاذا كان الحلفاء قد وصلو جبال الالب عبر ايطاليا سنة ١٩٤٥ فقط ، فما هي المدة التي يحتاجونها لعبور جبال البلقان؟ .. وهذه النظرة جعلتني اقتنع بان الحرب لم تدخل مرحلتها النهائية بعد .

ثم انني ضحدت الفكرة القائلة بان تدخل الحلفاء في البلقان سيمنع الروس من احتلال بلغاريا ، ويوغوسلافيا ، والمجر .. دحضت هذه الفكرة لان الروس كفريق من الحلفاء سيساهمون بطبيعة الحال في السيادة على البلقان ، وسيطالبون بامتيازات في الدردنيل وهذا يعني انهم سيشرفون على الناحية الشرقية من البحر الابيض المتوسط ، ويهددون اوروبا الغربية من ناحيتها الجنوبية ... ويسرني ان اقول بانني افلحت في اقناع الاتراك لان يعرقلوا هجوم الحلفاء على سالونيك .

وكان من الجلي للاتراك ولوزارة الخارجية التركية ان موافقتهم على تقديم مطاراتهم للحلفاء سيدفع الالمان لان يهدموا استنبول وازمير على رؤوس ساكنيها .. وقـــد رأى احد العسكريين الاتراك ان يحول دون توريط تركيا في الحرب بان تطلب بلاده من الحلفاء كميات خيالية من الاسلحة وان يتم نقلها عن طريق الاسكندرونة ومرسين فقط .. وكان جواب البريطانيين بواسطة شيشيرو ان الكمية المطلوبة هائلة ، وان نقلها عبر جبال طوروس يتطلب سنة على اقل تقدير ! . .

ولما نفد صبر السفير البريطاني في انقره ابرق للمستر ايدن بواسطة شيشيرو ايضاً طالبـــاً ايقاف المفاوضات مـع الاتراك ، ومقترحاً انهاء حالة الصداقة بين البلدين ، فاجابه ايدن بان خطوة كهذه لن تتخذ بسبب توتر الحالة العامة ، ومن الافضـل اختيار اهون الشرين ، والبقاء على الحالة الراهنة .

***

لقد قدم شيشيرو لنا معلومات على جانب كبير من الاهمية ، افادتنا في معرفة نوايا الحلفاء نحو المانيا بعد انكسارها، واطلعتنا على اختلاف وجهات النظر بين الدول الحليفة ، والاهم من هذا وذاك انها وضحت لنا خطط العدو الحربية وساعدتنا على توزيع قوانا المقاتلة توزيعاً صحيحاً .. وعلى الجملة كنا نعرف نوايا العدو ومشاريعه بشكل لا مثيل له في التاريخ العسكري .

كان ربنتروب يشك في صحة برقيـات شيشيرو ويظن انها لعبة تقوم بها الخدمة السرية البريطانية ، الى ان اقدمت الطائرات البريطانية على ضرب صوفيا بالقنابل ، وكان شيشيرو قد اشعر القيادة الالمانية بها مقدماً ، ومن ثم زال كل شك في صحة تلك البرقيات الخطيرة .

وماذا حل بشيشيرو او ديلو ، او الياس .. بعد ان انضم سكرتير مويزيش الى الحلفاء ؟ ..

لقد رآه من يعرفه يجول في ضواحي انقرة اكثر من مرة ، ورؤي مع مويزيش في استنبول في اواخر اغسطس ١٩٤٤ ..

ثم ذكرت الصحافة المصرية انه رؤي في شوارع القاهرة.. وقيل في تركيا ان حكومتها وضعت يدها على كميات كبيرة من الجنيهات السترلينية المزيفة .. وان هذه الاموال هي جزء مما كان يدفعه مويزيش الى شيشيرو .

ولما زرت استنبول سنة ١٩٥١ لاسترد اثاثي الخاص قيل لي عن شيشيرو انه قضى مدة في القاهرة ، ولما اعلنت شركة افلام سنتشيري ـ فوكس انها ستضع فيلماً عن اعماله في تركيا ، هرع الى استنبول وعرض نفسه ليقوم بالدور المطلوب فلم يُقبل .. ثم اختفى ثانية وقيل ان الشرطة التركية اعتقلته .. اما جينكه فيقول انه رأى شيشيرو مؤخراً في تركيا فلم يحدثه وانما اكتفى برفع قبعته له بلطف واجلال !..

***

وشن البريطانيون على المرشال تشاقماق هجوماً عنيفاً وقد نعتوه بالقائد الهرم الذي لا يفقه مقتضيات الحرب الحديثة ، وانه موال للالمان ، فاقصاه الرئيس اينونو عن قيادة الجيش واستبدله بالجنرالين كاظم اورباي ، وصالح امورتاك .

وفي هذه الآونة انضم زعيم رجال (ابوير) العاملين في تركيا، الى الحلفاء ، فاتهمني الحزب النازي بانني اعنته على هذا الانضمام، وقرر ارسال زمرة من الحرس الاسود وهم بلباسهم الرسمي لاختطافي من انقره ، فلم يوافقهم هتلر على هذا العمل .

وفي الثالث من فبراير ١٩٤٤ تركت البعثة العسكرية

البريطانية تركيا ، واستقبل الانكليز هذا الفشل بحملة عنيفة على حكومتهم في صحفهم وانديتهم .

وقمت من جديد بحركة للتقرب من الرئيس روزفلت وطلبت من لوسنر ان يتصل بالمستر جورج ايرل ممثل روزفلت الخاص للحصول على اقتراحات معقولة من الرئيس الاميركي، لقاء تسليم هتلر وتقديمه لمحكمة دولية .. ولا شرط لنا الا تعديل عبارة « التسليم دون قيد او شرط » ، والسماح للقوات الالمانية ان تتجمع في الحدود الشرقية لمنع الروس من الزحف على الاراضي الالمانية والبلقانية .

وكان جواب روزفلت الرفض التام .

وسافرت الى برلين في شهر ابريل ١٩٤٤ لاستعراض الحالة العامة مع هتلر ، وبلغني وانا في المانيا ان ولدي جريحاً في رين بفرنسا فذهبت لزيارته ، وتلقيت وانا هناك دعوة لزيارة لافال ، ومما قاله لي هذا السياسي الفرنسي : « انني ارغب بالتعاون مع هتلر لاعادة تنظيم اوروبا ، واذا ما غزا الحلفاء فرنسا فهذا يعني نهاية الحرب ونهاية هتلر معها ، ولا يمكن صد هذا الغزو الا بالتعاون الفرنسي الالماني» ، وسألني لافال ان اقنع هتلر بضرورة هذا التعاون .

ولم اكد استقر في انقره من جديد حتى شرع الحلفاء بـ « عملية اوفر لورد ».. وبعد عشرة ايام استقال السيد منيمنجي اوغلو من منصبه كوزير للخارجية على اثر مرور بعض القطع

البحرية الالمانية من الدردنيل في طريقها الى بحرايجه ، وقد اكد له الالمان انها غير حربية واثبت تفتيشها انها تحمل اسلحة .

ولما اشتدت وطأة الغزو على اوروبا وتعاظم الهجوم الروسي من الشرق راح الاتراك يفكرون جدياً بالانضمام الى الانكليز والامريكان حتى لا يقع الدردنيل بايدي الروس !.. وفي الثاني من اغسطس ١٩٤٤ اقر المجلس الوطني التركي قطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا .

وقال لي الرئيس اينونو اثر اتخاذ هذا القرار : « انني تحت تصرفك اذا كان بمقدوري التوسط في هذه الحرب ، وارجو الا تتأثر علاقاتنا الشخصية ازاء الخطوة التي فرضتها علينا الحوادث التاريخية » .

وتلقيت برقية من ربنتروب يطلب اليّ فيها الحضور الى برلين على عجل لحضور عملية تطهير المانيا من الارستقراطية بعد فشل محاولة اغتيال هتلر في العشرين من يوليو ١٩٤٤ ، وكان بين المتهمين فيها صديقي هلدورف وبسمارك .

والحّ عليّ المستشار جينكه ان ارسل برقية باسم موظفي السفارة اهنىء فيها هتلر بخلاص روحه العزيزة على المانيا ! ..

في هذه الاثناء القى تشرشل خطاباً في مجلس العموم تحدث فيه عن انكسار المانيا وقال : « بوسع فون بابن ان يعود الى المانيا الآن ليحضر الحمّام الدموي الذي أفلت منه سنة ١٩٣٤ !»

وجاءني احد السفراء المحايدين وسألني باسم الحلفاء الا اعود الى المانيا فمصيري معروف تماماً .. وان بوسعي التمتع بحماية الدول الحليفة اذا هاجمت النظام النازي علناً .. فاجبته ان يشكر اصدقاءه على عرضهم هذا وان يقول لهم بانني لا اقبل حمايتهم .. وان هناك من الالمان من يستقبح فكرة الخلاص بجلده والتخلي عن الوطن في ساعة الحاجة ..

وبعد يومين عدت الى المانيا المحترقة المنهارة ! .

الخاتمة

اسر ، وسجن ، ومحاكمة

غادرت تركيا في الخامس من اغسطس ١٩٤٤ في عربة القطار الخاصة بوزير الخارجية التركية ، ولما دخل القطار برلين لم اجد رجال الحرس الاسود في انتظاري وانما وجدت وفداً من قبل وزارة الخارجية الالمانية وعلى رأسه دورنبرغ رئيس البروتوكول الذي طمأنني بانني لن اعتقل .

وفي اليوم ذاته استقليت القطار الى مقر هتلر في بروسيا الشرقية ، ولما دخلت عليه وجدته ممتقع اللون ، يرتعش من الاضطراب ، وبعد ان استجمع اعصابه قال لي : ما وراءك يا فون بابن ؟..

فحدثته عن الحالة في تركيا ، واقترحت عليه بعض الحلول

للتقرب من الحلفاء ، فانتفض وقال : « لا تساهل في هذه الحرب، وسيعلم الانكليز قريباً ماهية الاسلحة الجديدة التي سنستعملها ضدهم! ».

وحين خرجت من عنده ناولني صندوقاً صغيراً يتضمن وسام الاستحقاق العسكري من درجة فارس اعترافاً بالخدمات التي قدمتها للدولة في تركيا .

وعدت الى برلين ، ومنها ذهبت الى بلدي في الغرب ، فعلمت ان القوات الاميريكية اجتازت الحدود ، فتلقى قائد المقاطعة امراً بالحيلولة دون وقوعي اسيراً واعادتي مع اسرتي الى مقاطعة وستفاليا ، وفي التاسع من ابريل ١٩٤٤ فوجئنا بالقوات الاميركية تطوق الناحية كلها .. واقتحم داري ضابط امريكي وطلب مني هويتي ، فلما عرفته بنفسي افادني بان لديه امراً باعتقالي فاجبته محتجاً انني لست عسكرياً ، وانني رجل في الخامسة والستين من عمري ، فلم افلح في اقناعه ، وذهبت معه في سيارة (جيب) .

وقضيت فيما بعد اربع سنوات في السجن وفي معتقل العمل، واطلعت في هذه الاثناء على معلومات لا تخطر ببال مخلوق في الكيفية التي كان يعذب فيها النازيون ضحاياهم وخاصة في معتقلات اورانينبورغ ، وساشنسهاوزن ، وداخاو .. حتى ان اطفال الالمان صاروا يرددوا اغنية تقول : « اسألك يا الهي الحبيب .. الا تريني داخاو الرهيب » .

وفي نهاية ابريل ١٩٤٤ نقلت الى مقر هيئة اركان حرب

الجنرال ايزنهاور في ريمس.. وهناك حقق معي ، ووضعت في بيت توفرت فيه شروط الراحة ، وكان زميلي في هذا المعتقل الوصي على عرش المجر الاميرال هورتي ، وبعد مدة نقلنا فجأة الى موندورف بالقرب من لوكسمبورج ، ووضعنا في بيت خال من الاثاث تقريباً تطوقه الاسلاك الشائكة من كل جانب ، وكان المشرف علينا الكولونيل بورتون اندروس .

واعتلت صحة هورتي الكهل واصبح على عتبة الهاوية ، فسألت اندروس: كيف تعاملون شخصاً بارزاً مثل هذه المعاملة؟..

فأجاب : لا اعرف من انتما.. وكل ما اعرفه انكما اسيرا حرب ، وعهد اليّ امر حراستكما .

قلت ولكن اتفاقية هاج تقول بالمعاملة الانسانية للاسرى .
قال : هذا امر لا يهمني انا شخصياً .

ثم سمح لنا بالمراسلة فحررنا رسالة للمستر تشرشل واخرى لجلالة ملك انكلترا فلم نتلق منهما رداً ، وانما فصلنا عن بعضنا ، فنقل هورتي الى مكان ما ، اما انا فقد دفعت في سيارة شحن ووجدت نفسي فجأة مع غورنغ ، وربنتروب ، وروزنبرغ ، والموالين لهم .. ومن ثم حملتنا الطائرة واتجهت بنا شرقاً ، ثم حطت في بلدة مهدمة سرعان ما عرفتها انها نورمبرغ..

وفي سجن هذه البلدة التقيت بجميع شخصيات الحكم النازي كما التقيت للمرة الثالثة بالاميرال هورتي التعس !..

وحقق معي طويلاً رجل امريكي اسمه المستر ضود.. ثم زارني

رجلان ليفحصا حالتي العقلية.. فسألني احدهما: ماذا ترى في بقعة الحبر ؟!.. فاجبته: ما هذا السؤال التافه.. اسألني في التاريخ ، والجغرافيا ، والسياسة ، او الاقتصاد اذا كنت تفهم فيها ؟..

وفي هذه الاثناء انتحر اربعة منا وهم الدكتور كونتي ، والدكتور لاي ، والجنرال بلاسكوفيتس ، واخيراً لحق بهم غورينغ.. وسألني مرة احد حراسي الامريكيين ان اقبل منه هدية لتقيني حبل المشنقة.. وهي عبارة عن حبة سم زعاف ، فشكرت له لطفه واعتذرت.. ثم سألني آخر ان اقبل منه سكيناً اقطع به شريان صدري.. فاعتذرت.. فالح عليّ ، ولم يتركني الا بعد ان استنجدت بضابط السجن !..

وبدأت محاكمة نورمبرغ في ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ وانتهت في سبتمبر ١٩٤٦ وكانت التهم الموجهة ضدي انني كنت من مسببي الحرب لتعاوني مع هتلر .

اما النقطة القضائية التي اشغلت فكري طيلة مدة المحاكمة هي: هل يجوز للقضاة ان ينظروا في تهم هم انفسهم متهمون بها ايضاً؟.. وهل تجوز معاقبة رجال دولة لان امتهم دخلت في حرب مع غيرها !

واخيراً صدر الحكم ببراءة الدكتور شاخت.. اما باقي المتهمين فكانت نهايتهم شنقاً ثم حرقاً .

انني لا ادافع عن الفظائع التي اقترفها هتلر في البلاد المحتلة ، ولكن الا نرى في الوسائل المستعملة في الحرب الكورية الحالية ما يشبه الوسائل التي استعملها الالمان في روسيا ؟..

فهرست

٣٥ / ١١ – ٥٢

« مطبعة قلفاط » شارع بشارة الخوري تلفون ٣٤/٧٠ بيروت

المجموعة السياسية

تعالج الطرف المشاكل واروع الاسرار العالمية وما سببها السياسية

ظهر منها		ق.ل
١ – رومل على ابواب الشرق	للجنرال ديزموند يونغ (نفد)	١٠٠
٢ – عشرة ايام بين هتلر والموت	للقاضي ميخائيل موسمانو (نفد)	١٠٠
٣ – من ستالين الى هتلر	للسفير روبير كولوندر (نفد)	١٠٠
٤ – غوبلز يتكلم	الدكتور غوبلز (نفد)	١٠٠
٥ – تشرشل يتكلم عن الشرق	بقلم ونستون تشرشل	١٠٠
٦ – بعد نورمبرغ	بقلم يورغان تورفالد	١٠٠
٧ – معذبو شباندو	« « «	١٠٠
٨ – جاسوس من موسكو	بقلم الكسدر فوت	١٠٠
٩ – رودولف هس	بقلم باسيل دقاق	١٠٠
١٠ – ستالين من الدير الى الكرملين	بقلم كريستيان ويندكي	١٠٠
١١ – فون بابن يتكلم	بقلم فرانس فون بابن	١٠٠